جمهورية تركيا

جامعة تشانكري كارا تكين

معهد العلوم الاجتماعية

العلوم الإسلامية الأساسية

قسم التفسير

المدرسة النجدية في التفسير

ابن السعدي نموذجاً

إعداد الطالب

محمد فوزي هاتف العبيدي

أطروحة ماجستير

إشراف: الدكتور عبد السلام يوسف اليعقوب

تشانكيري–2023

جمهورية تركيا

جامعة تشانكري كارا تكين

معهد العلوم الاجتماعية

العلوم الإسلامية الأساسية

قسم التفسير

المدرسة النجدية في التفسير

ابن السعدي نموذجاً

معد الأطروحة

محمد فوزي هاتف العبيدي

أطروحة ماجستير

إشراف

د. عبد السلام يوسف اليعقوب

تشانكيري –2023

الفهرس

الفهرس ---------- III

بيان أخلاقيات البحث العلمي ---------- IX

المصادقة وإعتماد الأطروحة ---------- خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

إهداء ---------- XI

شكر وتقدير ---------- XII

الملخص ---------- XIII

ÖZET ---------- XV

ABSTRACT ---------- XVII

المقدمة ---------- XIX

أهمية الموضوع ---------- XXI
سبب اختيار الباحث ---------- XXII
أهداف البحث ---------- XXII
الجهود السابقة ---------- XXIII
منهجي في البحث ---------- XXIV
خطة البحث ---------- XXV
تمهيد ---------- XXIX

الفصل الأول ---------- 1

تاريخ المدرسة النجدية ---------- 1

المبحث الأول: البيئة النجدية وآثارها ---------- 1
المطلب الأول: الجغرافيا ---------- 1
المطلب الثاني: الهجرات ---------- 3
•مواسم الجفاف---- ---------- 3

•الاضطرابات السياسية والحروب المستمرة.----------3
•الأمراض والأوبئة.-- ----------4
المبحث الثاني: الحالة السياسية----------5
المطلب الأول: الحالة السياسية ما قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ----------5
المطلب الثاني: الحالة السياسية ما بعد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.----------9
•قيام الدولة السعودية الأولى----------9
•قيام الدولة السعودية الثانية----------11
•قيام الدولة السعودية الثالثة.----------13
المبحث الثالث: الحالة العلمية ----------16
المطلب الأول: أنواع التعليم في نجد. ----------16
1.تعليم الكتاتيب----------17
2.تعليم حلقات المساجد:----------18
المطلب الثاني: بعض مخرجات هذا التعليم.----------18
المطلب الثالث: نماذج من علماء نجد. ----------20
•تطور التعليم.------ ----------22
•تعليم البنات.----------23
(خاتمة الفصل) ----------24

الفصلُ الثاني ----------25

مدرسةُ التفسيرِ النجدية----------25

المبحث الأول: منهج المدرسة النجدية. ----------25
المبحث الثاني: أبرزُ الموضوعات التي ركزت عليها هذه المدرسة.----------32
المطلب الأول: الأخبار. ----------33
المطلب الثاني: الشرائع.----------34
المبحث الثالث: المآخذ على هذه المدرسة. ----------35
المطلب الأول: قلة المصنفات التفسيرية في هذه المدرسة. ----------35
المطلب الثاني: تشدد هذه المدرسة.----------37
المطلب الثالث: بداوة هذه المدرسة.----------39
(خاتمة الفصل) ----------41

الفصل الثالث----------42

أعلام التفسير في المدرسة النجدية----------42

المبحث الأول: مرحلة البدء والتأسيس.----------42

المطلب الأول: محمد بن عبد الوهاب، نسبه، ومنهجه في التفسير. ---------- 43
نسبه:---------- 43
منهجه في التفسير:--- ---------- 43
المآخذ على تفسيره: ---------- 45
المطلب الثاني: (تفسير آياتٍ من القرآن الكريم). ---------- 45
المبحث الثاني: مرحلة النضوج والعلمية.---------- 47
المطلب الأول: صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم/الشيخ عبد الرحمن الدوسري. ---------- 47
نسبه ومولده.------- ---------- 48
منهجه في التفسير.---------- 48
المآخذ على تفسيره:- ---------- 51
نماذج من تفسيره.--- ---------- 51
المطلب الثاني: تفسير القرآن الكريم/ للشيخ محمد صالح العثيمين. ---------- 53
نسبه ومولده------- ---------- 53
منهجه في التفسير:-- ---------- 54
المآخذ على تفسيره:- ---------- 57
نماذج من تفسيره:--- ---------- 57
المبحث الثالث: مرحلة التطوير والإضافة العلمية المنهجية. ---------- 60
المطلب الأول: تفسير (جزء عمّ) الشيخ مساعد الطيار. ---------- 60
نسبه ومولده:------- ---------- 61
منهجه في التفسير:-- ---------- 61
نماذج من تفسيره:--- ---------- 65
المطلب الثاني: نماذج ممن تخصص في قواعد التفسير. ---------- 66
أولاً: فهد بن عبد الرحمن الرّومي. ---------- 66
1-التفسير في المغرب العربي والأندلس:- ---------- 66
2-قواعد ومناهج التفسير:- ---------- 66
3-تحقيق بعض التفاسير المندثرة والتي لم تنل نصيبها في النشر:- ---------- 67
ثانياً: عبد الرحمن بن معاضة الشهري. ---------- 67
ثالثاً: محمد بن عبد العزيز الخضيري. ---------- 68
(خاتمة الفصل) ---------- 69

الفصل الرابع ---------- 70

ابن السعدي وتفسيره---------- 70

المبحث الأول: ترجمة ابن السعدي ---------- 71
المطلب الأول: نسبهُ وولادته ونشأته. ---------- 72
المطلب الثاني: حياتهُ العلمية وشيوخه وتلاميذه. ---------- 73

تلاميذه:---------- ---------- 75
المطلب الثالث: مؤلفاته. ---------- 76
أولاً: التفسير وعلوم القرآن.---------- 76
ثانياً: العقيدة.---------- 77
ثالثاً: الفقه وأصوله. ---------- 78
رابعاً: مواعظ وآداب. ---------- 78
وفاته:---------- ---------- 79
المبحث الثاني: وقفات من حياته. ---------- 80
المطلب الأول: مع أسرته وجيرانه.---------- 81
•مع أسرته.---------- ---------- 81
•مع جيرانه.---------- 82
المطلب الثاني: مع أهل مسجده.---------- 83
المطلب الثالث: طرائف سعدية. ---------- 85
المبحث الثالث: تفسير ابن السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ---------- 86
المطلب الأول: مميزات تفسير ابن السعدي.---------- 87
المطلب الثاني: مكانة تفسير ابن السعدي وثناء العلماء عليه.---------- 94
•الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز:---- ---------- 95
•الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:--- ---------- 95
•الشيخ عبد الرزاق عفيفي--- ---------- 96
•الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل--- ---------- 97
•الشيخ محمد صالح العثيمين:--- ---------- 98
المطلب الثالث: المآخذ على تفسير ابن السعدي. ---------- 99
(خاتمة الفصل) ---------- 101

الفصل الخامس---------- 102

منهج ابن السعدي، في التفسير بالمأثور وعلوم القرآن ---------- 102

المبحث الأول: منهج ابن السعدي في التفسير بالمأثور. ---------- 102
المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن.---------- 103
المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة. ---------- 104
المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة.---------- 106
المطلب الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين.---------- 107
المبحث الثاني: منهج ابن السعدي في التفسير بعلوم القرآن. ---------- 108
المطلب الأول: أسباب النزول. ---------- 109
المطلب الثاني: فواتح السور.---------- 111
•الحروف المقطعة.-- ---------- 111

•الاستفتاح بالقسم.- ---------- 112
المطلب الثالث: الإسرائيليات. ---------- 113
المطلب الرابع: الناسخ والمنسوخ. ---------- 116
النسخ عند ابن السعدي: ---------- 117
المطلب الخامس: قصص القرآن.---------- 119
•الاستدلال من القصة على قواعد عقدية:--- ---------- 119
•الاستدلال من القصة على قواعد فقهية:--- ---------- 120
•الاستدلال من القصة على قواعد سلوكية:--- ---------- 120
قصة ضعيفة:------- ---------- 121
المطلب السادس: القراءات القرآنية.---------- 122
(خاتمة الفصل) ---------- 124

الفصل السادس---------- 125

منهج ابن السعدي في التفسير لآيات التوحيد والفقه ---------- 125

المبحث الأول: التوحيد في تفسير ابن السعدي. ---------- 126
المطلب الأول: توحيد الألوهية. ---------- 127
المطلب الثاني: توحيد الربوبية. ---------- 128
المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات. ---------- 130
المبحث الثاني: التفسير الفقهي عند ابن السعدي. ---------- 133
المطلب الأول: فقه العبادات. ---------- 134
•الصلاة.---------- 134
•الزكاة.---------- 136
•الصوم.---------- ---------- 138
المطلب الثاني: فقه المعاملات.---------- 139
•الرِّبا.---------- ---------- 140
المطلب الثالث: فقه الأحوال الشخصية. ---------- 143
•معنى العدل في الزواج.---------- 143
•المحرمات من النساء---------- 144
•الطلاق:---------- ---------- 145
•الميراث:---------- ---------- 148
(خاتمة الفصل) ---------- 152

الفصل السابع---------- 153

اللطائف التفسيرية من تفسير ابن السعدي. ---------- 153

•من الحكمة الإلهية.---- ---------- 153
•القصاص بالحق.---- ---------- 154
•لا إكراه في الدين.---------- 155
•ماهية نجاسة المشرك؟---------- 157
•أعظم معجزة للأنبياء.---- ---------- 158
•الخالق.------ ---------- 159-
•إهداء القُرب.---- ---------- 160
•قاعدة أدبية.---------- 161
•رد التحية----- ---------- 162
•الزهد الحقيقي.---- ---------- 162

(خاتمة الفصل) ---------- 164

الخاتمة---------- 165

النتائج والتوصيات: ---------- 167

المصادر والمراجع:---------- 168

بيان أخلاقيات البحث العلمي

أصرح بأني قد التزمت بعناية بالأخلاقيات العلمية والقواعد الأكاديمية أثناء إعدادي لأطروحة الماجستير المعنونة (المدرسة النجدية في التفسير، ابن السعدي نموذجاً) وذلك بدءًا من مرحلة تقديم الاقتراح إلى أن انتهيت من هذه الدراسة ، وأن المعلومات المذكورة في الأطروحة حصلت عليها ضمن إطار الأخلاقيات والتقاليد العلمية، وأنني قمت بذكر والإشارة إلى جميع المصادر والمراجع التي اقتبست منها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر في هذه الدراسة التي أعددتها وفقًا لقواعد كتابة الأطروحة، وأصرح بأن جميع المصادر والمراجع التي لجأت إليها هي تلك الموضحة في قسم المصادر والمراجع.

2023 ...\...\....

توقيع

محمد فوزي هاتف العبيدي

ÇANKIRI KARATEKİN ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

*[*Mohammed Fawzı Hatıf AL-OBAIDI*]* tarafından hazırlanan *[Necd Tefsir Okulu İbn el-Saadi bir modeldir).* başlıklı bu çalışma, *[07/02/2023]* tarihinde yapılan tez savunma sınavı sonucunda *[oybirliği]* başarılı bulunarak jürimiz tarafından *[Temel İslam Bilimleri]* Anabilim Dalı'nda Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir.

TEZ JÜRİSİ ÜYELERİ (Unvanı, Adı ve Soyadı)

Danışman: Dr. Öğretim Üyesi Abdulsalam Yousuf Essa AL-YAGOOB İmza: .....

Üye : Dr. Öğr. Üyesi Hidayet ZERTÜRK İmza: ……..

Üye : Dr. Öğr. Üyesi Alaaddin KİRAZ İmza: ……..

ONAY

Bu Tez, Çankırı Karatekin Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun 27.01.2023 tarih ve 2023/04-20-A (10) sayılı oturumunda belirlenen jüri tarafından kabul edilmiştir.

Prof. Dr. Coşkun POLAT

Enstitü Müdürü

إهداء

إلى معلمي الأول، والدي العزيز أبو منتصر رحمه الله تعالى

إلى معلمتي الأولى، أمي الغالية أم منتصر حفظها الله تعالى

إلى رفيقة الدنيا والجنة، زوجتي الغالية أم إبراهيم حفظها الله تعالى

إلى رأس مالي، وسلوتي، بناتي الأربع

أم بكرٍ

أم سهيل

أم صالح

أم عمر

إلى إخوتي وأخواتي، سندي بعد الله تعالى في هذه الدنيا

شكر وتقدير

الشكر لله أولاً على توفيقه وامتنانه، وآلائه وإحسانه، ثم أقدم خالص شكري وتقديري وعرفاني لكلِّ مَنْ مدَّ لِيَ يد العون، من أول معلمة في الأول الابتدائي الأستاذة بدرية، إلى آخر من أشرف وتابع دراستي وبحثي. وأخص بالذكر الدكتور عبد السلام يوسف اليعقوب، الذي كانت لتوجيهاته السديدة، عظيم الأثر في إخراج هذا البحث إلى النور.

فقد وجدت في علمه الغزير، وتواضعه الكبير، ورحابة صدره، خير باعث لي بالمضي في هذا العمل، مع النصح الجميل، طيلة مراحل الدراسة، ومراحل الكتابة، وما فتىء يحثني على الجد والاجتهاد والصبر والعمل، ويمدني بالتوجيه والإرشاد، بما أوتي من خلق رفيع قل نظيره في هذا الزمان.

الباحث

محمد فوزي هاتف العبيدي

الملخص

اسم الأطروحة: المدرسة النجدية في التفسير، ابن السعدي نموذجاً.

معد الأطروحة: محمد فوزي هاتف العبيدي.

المشرف: الدكتور عبد السلام يوسف اليعقوب.

الفرع العلمي: التفسير.

نوع الأطروحة: ماجستير.

تاريخ الموافقة: ..../..../2023

لقد رأى الباحث أن يجعل من المدرسة النجدية في التفسير موضوع رسالته التي أعدها لدراسة الماجستير، عازماً على قراءة التاريخ والنصوص التفسيرية بتجرد وحيادية، من أجل الإجابة عن السؤال المركزي الذي طرحته الرسالة ألا وهو (قيمة هذه المدرسة التفسيرية مقارنة بالمدارس التفسيرية الأخرى)، والأسئلة الفرعية المتولدة عنها.

فكان لزاماً أن يضع الباحث خطة تحيط بالموضوع من جميع جوانبه، فقسّم الباحث رسالته إلى جزئيين رئيسين، يتكون الجزء الأول (المدرسة النجدية في التفسير) من ثلاثة فصول. فكان الفصل الأول ممهداً ومعرفاً بهذه المدرسة من ناحية تاريخية متفحصاً لها جغرافياً وعلمياً وسياسياً. وجاء بعد ذلك الفصل الثاني مبيناً وموضحاً لمنهج هذه المدرسة في التفسير، وبيان إيجابيات ومآخذ هذه المدرسة وعرضها بطريقة وصفية تحليلية. وأعقبه الفصل الثالث ببيان نماذج مختلفة لثلاث مراحل مهمة مرت بها هذه المدرسة، فكانت هذه النماذج التفسيرية متفقة بالمنهج العام، مختلفة بالطريقة والأسلوب.

أما الجزء الثاني من الرسالة (ابن السعدي نموذجاً) فكان لأبرز أعلام هذه المدرسة التفسيرية الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي بتفسيره (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) فجاء الفصل الرابع ممهداً وشارحاً لسيرة هذا العالم الجليل، ببيان نشأته وعلمه ومؤلفاته، ثم بالدخول إلى تفسيره. وأعقبه الفصل الخامس مبيناً أهم قواعد التفسير عند ابن السعدي (التفسير بالمأثور) ثم بالركن الثاني من القواعد التفسيرية إلا وهو علم (علوم القرآن). ثم جاء الفصل السادس ببيان منهج ابن السعدي بجانبين مهمين، إلا وهما: التوحيد والفقه، بعرض كل جانب وبشرحه، مع الأمثلة الموضحة لذلك. ثم ختم الباحث رسالته بالفصل السابع، بلطائف تفسيرية منتقاة من تفسير ابن السعدي توضح عميق علمه، دالةً على سعة فهمه.

فكان من نتائج هذه الرسالة الوقوف على حقيقة هذه المدرسة التفسيرية، والأثر الذي تركته في تفسير كتاب الله تعالى، وخطورة تبني أفكار وتُهم عامة تهدم ولا تبني، وتفرق ولا تجمع.

الكلمات المفتاحية: المدارس التفسيرية – المدرسة النجدية – ابن السعدي – التوحيد – التشدد

ÖZET

Tezin Başlığı : ***Necd Tefsir Okulu İbn el-Saadi bir modeldir*** -

Tezin Yazarı : Mohammed Fawzi Alobaidi

Danışman : Doktor Abdulsalam Alyakoob

Anabilim Dalı :Temel İslam Bilimleri Ana Bilim Dalı

Tezin Türü : Yüksek Lisans

Kabul Tarihi:

Araştırmacı, tarih ve açıklayıcı metinleri tarafsız ve yansiz bir şekilde okumak amacıyla tezin ortaya attigi temel sorya cevap verebilmek icin yuksek lisans calismasi icin hazirladigi tezinin necdi tefsir ekolunun konusu olmasi gerektigini dusunmustur (diger tefsir ekollerine kiyasla bu tefsir ekolunun degeri) ve buradan uretilen ugulanabilir sorular . Araştırmacının konuyu yum yonleriyle kusatan bir plan gelistirmesi gerekli oldugundan arastirmaci tesini iki ana bölüme ayırmıştır. Ardından, bu okulun yorumdaki yaklaşımını gösteren ve örnekleyen bu ekolün olumlu ve olumsuz yanlarını gösteren ve betimleyici ve analitik şekilde sunan ikinci bölüm geldi. üçüncü bölüm bu okulun geçtiği üç önemli aşamanın farklı modellerini göstermektedir . Bu açıklayıcı modeller, genel müfredatla uyumlu, yöntem ve üslup bakımından farklılık gösteriyordu. Risâlenin ikinci kısmına gelince (bir model olarak İbnü's-Saadi), bu tefsir okulunun en önemli şahsiyeti Şeyh Abdul Rahman dı Bin Nasır El-Saadi'nin yorumuyla (Tayseer Al-Karim Al-Rahman in Al-Mannan'ın sözlerinin tefsiri). Yani dördüncü bölüm bir döşeme olarak geldi ve bu büyük alimin biyografisini yetiştirme tarzını ilmini açıklayarak anlatıyor ve yazılar sonra onun

yorumuna giriyor bunu İbnü's-Saadiye göre en önemli tefsir kurallarını gösteren beşinci bölüm ardından kuran ilimleri bilimi olan tefsir kurallarının ikinci ayağı izledi Daha sonra altıncı bölüm İbnüs saadinin metodolojisinin bunlar dışında iki önemli yönüyle açıklanmasıyla geldi Tevhid ve fıkıh her yönü onu açıklayan örneklerle sunarak ve açıklayarak açıklamasıyla geldi. ardından araştımacı yedinci bölüm ile tefsirden seçtiği açıklayıcı notlar ile tefsirini bitirmiştir İbn Sadi'nin geniş anlayışının bir göstergesi olan bilgisinin derinliğini açıklamaktadır.

Bu tezin sonuçlarından biri bu tefsir ekolünün gerçekliği ve Yüce Allah'ın kitabı'nın tefsirinde bıraktığı etki ve yok eden inşa etmeyen bölen birleştirmeyen genel fikir ve suçlamaların benimsenmesi tehlikesi üzerinde durmaktı.

Anahtar Kelimeler: tefsir ekolleri - Necdî ekol - İbnü's-Saadi - tevhid – aşırılık

Abstract

Thesis Title : The Najdi School of Interpretation, Ibn Al-Saadi as a model

Author : Mohammed Fawzi Alobaidi

Supervisor : Dr. Abdulsalam Alyakoob

Department : Department of Basic İslâm Sciences

Thesis Type : Master's Thesis

Date :

The researcher saw that making the Najdi school in the interpretation the subject of his thesis prepared for studying for a master's degree, intent on reading history and interpretative texts with impartiality, in order to answer the main question by the message, which is (the value of this explanatory school compared to other schools), and the sub-questions generated by it. It was necessary for the researcher to develop a plan that surrounds the subject in all its aspects, so the researcher divided his message into two main parts, the first part (Najdi School in Interpretation) consists of three chapters. The first chapter was paved and defined by this school from a historical point of view, examining it geographically, scientifically and politically. Then came the second chapter, indicating and explaining the curriculum of this school in the interpretation, and clarifying the positives and intakes of this school and displaying it in a detailed and analytical way. The third chapter followed by explaining different models for three important stages that this school went through, so these explanatory models were consistent with the general curriculum, different in method and style.

As for the second part of the message (Ibn Al-Saadi as a model), the most prominent scholars of this explanatory school were Sheikh Abdul Rahman bin Nasser Al-Saadi with his interpretation (Tayser alkareem Al-Rahman fe tafser kalam Al-mannan).

The fifth chapter followed, indicating the most important rules of interpretation for Ibn al-Saadi (interpretation by the dictum) and then in the second basis of the explanatory rules, which is discipline (the science of the Qur'an). Then the sixth chapter came with a statement of Ibn Al-Saadi's approach to two important aspects, except: monotheism and jurisprudence, by presenting each aspect and explaining it, with the examples shown for that. Then the researcher concluded his message with the seventh chapter, with interpretative tecxts selected from the interpretation of Ibn Al-Saadi, explaining his deep knowledge, indicating his understanding. One of the results of this message was to know the truth of this interpretative school, the effect it left on the interpretation of the Book of God Almighty, and the danger of adopting general ideas and charges that are destroyed, not built, and separated and not collected.

Keywords: exegetical schools - the Najdi school - Ibn al-Saadi - monotheism – extremism.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، قيوم السماوات والأراضين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين سيدنا وحبيبنا وقدوتنا ونبينا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين أما بعد:

إنَّ القرآن الكريم كلام الله الخالد، الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلق من كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، مهما تناولوا منه، وأطالوا الجلوس لقراءته، وتلاوته، وفهمه، وتدبره، وتفسيره، كلما زادت شهيتهم، وتفتحت أذهانهم، وتجددت عندهم الرغبة بالمزيد.

وقد كثرت الدراسات حول كتاب الله، من تفسيرٍ وبلاغةٍ وإعرابٍ، وإعجازٍ، وأحكامٍ وغيرها، فلا غرو في ذلك، فإن أكرم وأسمى ما تتطلع إليه همم عِلْيَة القوم هو كتاب الله تعالى، وعِلمُ التفسير من أعلاها وأسماها، وأقواها برهاناً، وأوثقها بنياناً، لأن موضوعه يتعلق بكلام رب العالمين، ولأنَّه كلام الله، ولأنه وحي أنزله العليم الحكيم، فلو اجتمع مفسرو الدنيا، وفطاحل اللغة والبلاغة، على الإحاطة بمعاني ومدلولات القرآن لن يستطيعوا لذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

ولقد كان التفسير في عهد رسول الله ﷺ منقولاً بالرواية والتلقي من رسول الله ﷺ إلى الصحابة رضي الله عنهم، ثم بعد ذلك للتابعين ومن تبعهم، فكان جزءًا من حديث رسول الله ﷺ، ثم أصبح عِلماً مستقلاً بنفسه ومرتباً ترتيب المصحف على أيدي طائفةٍ من علماء التفسير، فبدأ التفسير بالإسناد، ثم أختصرت هذه الأسانيد، ثم نقلوا الأقوال دون أن ينسبوها

لقائليهـــا، فكـــان منهـــا الغـــثّ والســـمين، وكـــان مـــن المفســـرين مـــن راعـــى أصـــول التفســـير وقواعـــده، ومنهم من تشعب في علم الكلام والرأي المذموم.

وقـــد ظهـــرت عـــدة مـــدارس تفســـيرية في مشـــارق العـــالم الإســـلامي ومغاربـــه، فـــاختلاف المـــدارس باخـــتلاف أمكنتهـــا، أمـــا أصـــول التفســـير فواحـــدة تقريبـــاً في أغلـــب المـــدارس التفســـيرية. ولكـــن بقـــي لكـــل مدرســـةٍ تفســـيريةٍ مميزاتهـــا، وسماتهـــا، والمواضـــيع الـــتي راعتهـــا أكثـــر مـــن غيرهـــا، وكـــان لاخـــتلاف المشـــارب، والآراء، والعقائـــد، والبيئـــة المكانيـــة، والعصـــر الـــذي فيـــه المفســـر، أثـــره الـــذي أعطـــى للتفسير تنوعاً أثرى هذا العلم بمزيد من الآراء التفسيرية.

والمدرســـة النجديـــة في التفســـير إحـــدى هـــذه المـــدارس المعْتـــبرة، الـــتي أثْـــرَتْ عِلـــم التفســـير، وكانـــت لهـــا طريقتهـــا، ومنهجهـــا الـــذي حرصـــت عليـــه، وهـــو مـــنهج أهـــل الســـنة والجماعـــة، ومـــنهج كبـــار المفسرين الأوائل، لكن مع خصوصيتها ونَفَسَها الذي عُرفت به.

فكـــان هـــذا البحـــث الـــذي أســـال الله العظـــيم أن يجعـــل فيـــه النفـــع للباحـــث أولاً، ولمـــن يقـــرؤه مـــن بعده من هذه الأمة المباركة.

أهمية الموضوع:

1- تسليط الضوء على بقعة من العالم الإسلامي ظلت مهملة لقرون عديدة.

2- يُظهر مدى التفاوت بين المدارس القديمة في التفسير، والمدارس الحديثة، الذي كان ابن السعدي ممن انتسب إليها.

3- إنَّ أهمية علم التفسير، تبعاً لما فُسِّر له، فكوننا نكون ممن يساهم ولو بكلمة في تفسير كلام الله، له منقبة لمن يقرأ ويكتب، ويبحث.

4- الاطلاع على مراحل تطور المدرسة النجدية في التفسير، لهو خير وازع للأفراد والمجتمعات للنهوض والتطور العلمي والمنهجي والثقافي.

5- إنَّ لدراسة أعلام هذه المدرسة، وما بذلوا في سبيل طلب العلم والدعوة إليه، لهو خير وازع لهذه الأمة، بالسير على ما ساروا عليه، والوصول إلى ما وصلوا إليه.

6- إن مقولة (لم يُبقِ السابق للاحق شيئا)، هي مقولة مثبطة للعزائم والهمم، فقد أبقى السابق للاحق أشياء كثيرة، فأراد الباحث باكتشاف، واستخراج ما لا تنقضي عجائبه، ولا يخْلق من كثرة الرد.

سبب اختيار الباحث:

1-لقد قيل في هذه المدرسة وأعلامها، ورموزها، الشيء الكثير، فبين غلوٍّ في المدح والتبجيل، وبين غلوٍّ في الذم والتحقير، فأردت تبصير الناس لحقيقة ما قيل.

2- إن لدراستي عن الشيخ السعدي بأربعة فصول كان لها سببها أيضاً، فقد أعجبت بهذا العالم الجليل، صحبته قرابة عامين، فأردت أن أوصل للناس حقيقة ذلك العالم النحرير، الذي أفنى عمره طالباً، وعالماً، ومعلماً، وداعياً إلى الله، وإلى شرعه الحنيف بكل اعتدال، وإلى أهمية تفسيره (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان).

أهداف البحث:

1- قصدت البحث في أسلوب المدرسة النجدية في التفسير، التي كَثُر الحديث عن مؤيديها، ومنتقديها، فأردت أن أصل إلى الأسباب التي دعت إلى تأييدها، وانتقادها، وهل هذه الأسباب موضوعية؟

2- إبراز وتسليط الضوء الخافت على أعلام هذه المدرسة، واختيار نموذج وتسليط الضوء الساطع عليه وعلى منهجه.

3- لقد امتد عمر هذه المدرسة قرابة ثلاثة قرونٍ، فأردت أن أبين كيف تطورت ونضجت هذه المدرسة، ورسخت بل وأبدعت.

4- إنَّ أعلام هذه المدرسة، كان لهم أثر عميق وكبير، ليس على الجيل الذي عاصروه، بل على الأجيال التي لحِقتهم، فأردت أن أبين مصادر ومنابع ذلك الأثر الطيب.

الجهود السابقة:

لقد سبقني في الكتابة عن تفسير ابن السعدي عدد من، السادة العلماء، والأخوة الفضلاء، لكن كلٌ منهم أخذ جانباً من تفسير ابن السعدي، وكلٌ قد عَرَضه بخلفيته الثقافية، والعقائدية.

فقد تناول عبد الله سابح الطيار في رسالته (الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي مفسراً[1])، وقد تناول ناصر العبد المرنخ في رسالته (منهج الشيخ السعدي في تفسيره، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[2])، وقد تناول عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد في رسالته (الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة[3])، وأيضاً تناول عبد الله محمد رميان في رسالته (الشيخ عبد الرحمن السعدي، منهجه وأثره في الدعوة إلى الله[4])، وكلٌ من الأساتذة الأفاضل قد تناول الموضوع من رؤيته الخاصة، ومن موروثه، ومعتقده، لمجريات الأحداث السياسية والاجتماعية.

أما المدرسة النجدية في التفسير، فلم أجد من أفردها ببحث خاصٍ بها، على حد علمي وبحثي.

[1] رسالة جامعية حصل بها المؤلف على درجة الماجستير من قسم القرآن الكريم بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 1407.

[2] رسالة جامعية حصل بها المؤلف على درجة الماجستير من قسم التفسير وعلوم القرآن في الجامعة الإسلامية في غزة عام 1423-2002.

[3] دراسة علمية لجهود ابن السعدي من خلال كتبه ومؤلفاته -مكتبة الرشد- الرياض 1990-1411.

[4] رسالة جامعية حصل بها المؤلف على درجة الماجستير من جامعة محمد بن سعود الإسلامية في المدينة المنورة عام 1414.

منهجي في البحث:

1- النظر للبيئة المكانية وتأثيرها، على أصحابها.

2- التركيز على أثر الاستقرار السياسي والمعاشي، على ثقافة وعلمية المجتمع.

3- دراسة شخصيات الأعلام التفسيرية، وبيان ما امتاز كل واحد منهم.

4- إظهار وعرض النص التفسيري، والإضافة عليه، ومناقشته، من تفسير السابقين، إن دعا الأمر لذلك.

5- عند عرض النص التفسيري، أقوم ببعض التعليقات، التي توضح ما أُبهم، وتُبين ما خفي، والاستشهاد ببعض النصوص التفسيرية السابقة.

6- عمل مقارنة أحياناً بين نصين متشابهين لنفس الآية، لمفسر من المدرسة النجدية، ولمفسر ممن سبقهم، لتوضيح ما استفادت هذه المدرسة ممن سبق من أعلام مفسري الأمة.

7- تخريج الآيات والأحاديث الواردة في البحث، أما الآيات فتتم الإشارة إليها في متن البحث، وأما الأحاديث فيتم الإشارة إليها في هامش البحث وردها إلى مصادرها الأصلية.

8- التعريف بتراجم الأعلام، الواردة في البحث، وخاصة الغير معروفين منهم.

9- التعريف بالأماكن والبلدان المجهولة من خلال الرجوع إلى مصادرها الأصلية.

خطة البحث:

تضمنت خطَّة البحث قسمين رئيسين: قسم للمدرسة النجدية في التفسير بثلاثة مباحث، وقسم ابن السعدي نموذجاً بتفسيره (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، بأربعة مباحث، وقد تضمنت المقدمة أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والجهود السابقة، ومنهج الباحث، ثم التمهيد، وأمَّا الفصول والمباحث فكانت كالآتي:

- الفصل الأول: تاريخ المدرسة النجدية، وفيه ثلاثة مباحث.
  - المبحث الأول: البيئة النجدية وآثارها.
    - المطلب الأول: الجغرافيا.
    - المطلب الثاني: الهجرات.
  - المبحث الثاني: الحالة السياسية.
    - المطلب الأول: الحالة السياسية قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
    - المطلب الثاني: الحالة السياسية بعد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.
  - المبحث الثالث: الحالة العلمية.
    - المطلب الأول: أنواع التعليم.
    - المطلب الثاني: بعض مخرجات التعليم.
    - المطلب الثالث: نماذج من علماء نجد.
- الفصل الثاني: مدرسة التفسير النجدية، ويتكون من ثلاثة مباحث.

- المبحث الأول: منهج المدرسة النجدية في التفسير.
- المبحث الثاني: أبرز الموضوعات التي ركزت عليها هذه المدرسة.
  - المطلب الأول: الأخبار.
  - المطلب الثاني: الشرائع.
- المبحث الثالث: المآخذ على هذه المدرسة.
  - المطلب الأول: قلة المصنفات التفسيرية.
  - المطلب الثاني: تشدد هذه المدرسة.
  - المطلب الثالث: بداوة هذه المدرسة.

- الفصل الثالث: أعلام التفسير في المدرسة النجدية، ويتكون من ثلاثة مباحث.
  - المبحث الأول: مرحلة البدء والتأسيس.
    - المطلب الأول: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، نسبه، ومنهجه.
    - المطلب الثاني: تفسير آيات من القرآن الكريم، للشيخ محمد بن عبد الوهاب.
  - المبحث الثاني: مرحلة النضوج والعلمية.
    - المطلب الأول: تفسير صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم، للشيخ عبد الرحمن الدوسري.
    - المطلب الثاني: تفسير القرآن الكريم، للشيخ محمد صالح العثيمين.
  - المبحث الثالث: مرحلة التطوير والإضافة العلمية المنهجية.
    - المطلب الأول: تفسير، جزء عمّ، للشيخ مساعد الطيار.
    - المطلب الثاني: نماذج ممن تخصص في قواعد التفسير.

- الفصل الرابع: ابن السعدي وتفسيره، ويتكون من ثلاثة مباحث.
  - المبحث الأول: ترجمة ابن السعدي.
    - المطلب الأول: نسبه، وولادته، ونشأته.
    - المطلب الثاني: حياته العلمية، وشيوخه، وتلاميذه.
    - المطلب الثالث: مؤلفاته.
  - المبحث الثاني: وقفات من حياته.
    - المطلب الأول: مع أسرته، وجيرانه.
    - المطلب الثاني: مع أهل مسجده.
    - المطلب الثالث: طرائف سعدية.
  - المبحث الثالث: تفسير ابن السعدي، (تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان).
    - المطلب الأول: مميزات تفسير ابن السعدي.
    - المطلب الثاني: مكانة تفسير ابن السعدي، وثناء العلماء عليه.
    - المطلب الثالث: مآخذ هذا التفسير.
- الفصل الخامس: منهج ابن السعدي في التفسير بالمأثور، وعلوم القرآن، ويتكون من مبحثين.
  - المبحث الأول: منهج ابن السعدي في التفسير بالمأثور.
    - المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن.
    - المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة.
    - المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

- المطلب الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين.

- المبحث الثاني: منهج ابن السعدي في التفسير بعلوم القرآن.

- المطلب الأول: أسباب النزول.

- المطلب الثاني: فواتح السور.

- المطلب الثالث: الإسرائيليات.

- المطلب الرابع: الناسخ والمنسوخ.

- المطلب الخامس: قصص القرآن.

- المطلب السادس: القرآءات القرآنية.

- الفصل السادس: منهج ابن السعدي في التفسير لآيات التوحيد والفقه، ويتكون من مبحثين:

- المبحث الأول: التوحيد في تفسير ابن السعدي.

- المطلب الأول: الألوهية.

- المطلب الثاني: الربوبية.

- المطلب الثالث: الأسماء والصفات.

- المبحث الثاني: التفسير الفقهي عند ابن السعدي.

- المطلب الأول: فقه العبادات.

- المطلب الثاني: فقه المعاملات.

- المطلب الثالث: فقه الأحوال الشخصية.

- الفصل السابع: اللطائف التفسيرية من تفسير ابن السعدي.

تمهيد

إن الخوض في بحثٍ متعلقٍ بتفسير كلام الله العظيم، ثِقله كثِقل من فُسر من أجْلِه ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر 21/59)، لأنه كلام الله المنزل، فقد كان الحبيب ﷺ يتصبب عرقاً عندما كان جبريل ينزل عليه بالقرآن لثِقله، وثِقل هذه الأمانة.

وقد نال شرف تفسيره الكثير من العلماء قديماً وحديثاً، وقد برع وبزغ في تفسيره ثُلة ممن اصطفاهم الله، لحمل هذه الأمانة العظيمة، وهذا من حفظ الله لكتابه الكريم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحِجر 9/15).

فيجد قارىء بحثي هذا، أنَّ فيه قسمين، قسم متعلق بالمدرسة النجدية في التفسير، وأبرز أعلامها، من الذين برعوا، وبرزوا في علم التفسير، وقسم متعلق بابن السعدي، أحد أبرز أعلام المدرسة النجدية في التفسير.

أما القسم الأول: فنَجْد، تلك المساحة الشاسعة في قلب الجزيرة العربية، تلك المنطقة المهملة لقرون طويلة، لكن مشيئة الله تعالى، وإرادته فوق كل مشيئة، وإرادته شاءت أن تتحول تلك الرمال الصفراء، وتلك الأرض القاحلة، إلى منارة إشعاع في العالم الإسلامي الكبير.

فإرادة الله تعالى إذا شاءت شيئاً، هيأت له الأسباب الموصلة لذلك، فشاءت إرادة الله أن يخرج رجلٌ من نَجْد، بدعوة إصلاحية، هدفها الرجوع إلى الدين الحق، الخالي من البِدع والشعوذة، ومن الانحرافات العقدية، من طوافٍ، ونذرٍ، وذبحٍ لغير الله، وتبرّكٍ بالأحجار

والأشجار بغير ما أمر الله، وحمل هذا الرجل هدفاً، وعِلماً، ورؤية واضحة، فسعى لما أراد، إلى أن حقق هدفه، ورؤيته التي سعى لها.

وهذا الهدف لم يكن سهل المنال، ولا مفروشاً بالورود، فهو قد تعامل مع أقوام، كانت الفوضى، والصراعات، والسلاح، والفقر، والأمراض شعارهم ودثارهم، لكن عدم اليأس والإحباط، والصبر والجَلَدْ كان شعاره ورباطه.

ولم تكن هذه الشخصية، وهذا الطريق للوصول إلى الهدف، مثالياً، في جميع مراحله، بعيداً عن المثالب، والهفوات، والأخطاء، التي تصيب كل عمل بشري، معرض للنقد والخطأ والصواب، وقد أخرجت هذه الدعوة الإصلاحية سلسلة من العلماء الذين كانت لهم بصمتهم الملموسة في علوم الشريعة، وعلم التفسير على وجه الخصوص.

أما القسم الثاني: فيتحدث عن أبرز أعلام المدرسة النجدية في التفسير، عبد الرحمن بن ناصر السعدي وتفسيره تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

وسيرى قارئ بحثي كيف انتقلت المدرسة النجدية في التفسير، عبر مراحلها الثلاث، إلى أن تبوأت مكانتها اللائقة، وهذه المكانة التي أذكرها ليس من باب التفاخر والتعالي على الغير، بل هو ما يمليه واجب حمل أمانة هذا الدين العظيم، وما يمليه واجب خدمة كتاب الله تعالى، وما يمليه واجب قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران 119/3).

الفصل الأول

تاريخ المدرسة النجدية

إنَّ الاهتمام بالجانبِ التاريخي لأيّ مدرسةٍ تفسيريةٍ، أو فقهيةٍ له أهميته الكبيرة لمعرفةِ العواملِ التي ساعدت في ظهور هذه المدرسة، ومراحل تكوّنها ونشوئها، فإنَّ العوامل التاريخية والجغرافية والسياسية لها تأثيرها الكبير على الفردِ والمجتمع، وكذلك دراسة تاريخ المدارس يعطينا انطباعاً أولياً عن عوامل القوة والضعف في هذه المدرسة أو تلك.

المبحث الأول: البيئة النجدية وآثارها

لا شك في أن للبيئة تأثيراً كبيراً على الأفراد والمجتمعات، وهذا التأثير ينعكس على تفكيرهم، وحياتهم الاجتماعية، وطبيعة كسبهم لأرزاقهم، فما يَصْلحُ لمجتمعٍ قد لا يصلح لمجتمعٍ آخر بسبب بيئته، أو بسبب الجغرافيا التي تشكل هذه البيئة، أو بسبب المناخ السائد الذي يجبر هؤلاء الأفراد أو المجتمعات بالتصرف بطريقة معينة، أو بالهجرات إلى أماكن معينة.

المطلب الأول: الجغرافيا

تُكوّنُ نَجْد هضبةً واسعةً وسط الجزيرة العربية، ويدُلُّ مُسمى (نَجْد) على المكان المرتفع، أو المكان الصلب، وقال أحمد رضا: "النَجْد، ما أشرف من الأرض وارتفع وصلُب وغَلُظ، وليس

الشديد الارتفاع... أو الطريق الواضح في الجبل"[1]، ويُشيرُ إسم نَجْد أيضاً إلى معنى الاعتلاء والإشراف والقوة، "يقال رجل نَجْدٌ: ماضٍ فيما لا يستطيعه سواه"[2]

ويحدها من الشرق الإحساء والمنطقة الشرقية والقطيف، ويحدها من الغرب الحجاز التي تتكون من الشريط الساحلي الشرقي للبحر الأحمر دخولاً إلى عمق الصحراء، أمَّا من الشمال فيحدها جبل شمر، ويحدها من الجنوب صحراء الربع الخالي، فهي ليست كالحجاز لها مكانتها الدينية عند عموم المسلمين، وليست كمدن سواحل الخليج، كالإحساء وغيرها، التي لها مكانتها الاقتصادية والتجارية.

ونَجْد مناخها صحراوياً حاراً صيفاً، معتدلاً إلى باردٍ شتاءً، ومعدل تساقُط الأمطار منخفضٌ جِدَّاً ولا ينزل بصورة دورية أو مستمرة، ولعل أهم هذه الأمطار التي تسقط عادة في أواخر الخريف وبداية الربيع، والتي تُسهم في نمو الأعشاب التي ترعى عليها مواشي وأنعام النجادة، وهذه الكميات القليلة من الأمطار السنوية لا تفي بغرض الزراعة، لذا اعتمد أهل نَجْد على الآبار والمياه الجوفية.

فَلِندرة المياه، وقِلة سقوط الأمطار، سَكَنَ أهل نَجْد في الأمكنة التي تتوفر فيها مصادر المياه اللازمة للزراعة، مثل الواحات وجوانب الأودية والأماكن ذات المياه الجوفية الوفيرة، فمصادر المياه أهم أولويات حواضر نَجْد المستقرة.

---

[1] أحمد رضا، *معجم متن اللغة*، دار مكتبة الحياة، بيروت 1960، 5\402.

[2] مجمع اللغة العربية، *المعجم الوجيز*، مجمع اللغة العربية، القاهرة 1998، 1\603.

المطلب الثاني: الهجرات

لقد عُرف عن أهلِ نَجْد كثرة هجراتهم وعدم استقرارهم، سواء كانوا من أهل الحواضر، أو من البدو الرُّحَّل الذين هم أصلاً في ترحال دائم، وقد تنوعت تلك الهجرات من مؤقتة بسبب ظرفٍ طارىء، إلى طويلة بسبب البحث عن حياة أفضل ومكان للعيش أهنأ، ويرجِع سبب هذه الهجرات إلى عدة أسباب أهمها:

- **مواسم الجفاف.**

تمر على منطقة نَجْد ظروف مناخية قاسية، والتي تشهد أحياناً فترات من الجفاف وقلة سقوط الأمطار أو انعدامها كُليّاً -وقد تمتد إلى عدة سنين- إلى هجرة أهل نَجْد المستمرة بحثاً عن الماء والكلأ، وهذه الهجرات التي نقصدها، هي هجرة أهل الحواضر المسْتَقرَّة، فضلاً عن البدو الرحل، فتجدهم أحياناً يغادرون أماكن إقامتهم ويتركون بيوتهم ومزارعهم نجاة من مواسم القَحْط والجفاف وغزو الجراد، بحثاً عن الماء والمرعى الخصب.

- **الاضطرابات السياسية والحروب المستمرة.**

لقد عانت منطقة نَجْد ولقرونٍ طويلةٍ اضطراباتٍ أمنيةٍ وسياسيةٍ، وعدم استقرارٍ أمني، نتيجةً للحروب والنزاعات والاقتتال المستمر الذي قد ينشُب بسبب التنازع على مواطن النفوذ أو على مواطن الكلأ، أو قد يَنْشب بسبب الثأر ويستمر لسنين، مما اضطر الكثير من العوائل النجدية للهرب إلى أماكن أكثر استقراراً وأمناً، وسوف أذكر في المبحث التالي الحالة السياسية (المبحث الثاني)، الذي ركَّزَ على فترة ثلاثة قرونٍ

تقريباً، وهي فترة نزاعات مستمرة قد يسود بعض الهدوء في بعض الحواضر لكن سرعان ما تنشب المعارك مرة أخرى ويذهب ضحيتها مئاتٍ من الرجال.

- **الأمراض والأوبئة.**

لقد كانت نَجْد تشهد كُلَّ عدةِ سنين موجةٍ من الأمراض والأوبئة الفتاكة، "ودخلت السنة الرابعة والعشرون بعد المئة والألف (1712م) وفيها أشتد الوباء والمرض خصوصاً في بلدة الدرعية ومكث على ذلك إلى شهر جمادى، ومات في الدرعية خلقٌ كثير من الغرباء والسكان حتى أتى عليهم أيام يموت في اليوم الواحد ثلاثون وأربعون نفساً"[1]

وهذا يرجع كله لعدم الاهتمام من قبل الحكومات المتلاحقة بالجانب الصحي، فقد كان يشغلها التنازع والتوسع والسيطرة، وتكثر هذه الأوبئة في مواسم القَحْط والجفاف لقلة النظافة، فالنّاس بالكاد يبحثون عما يسدُّ رمقهم من جوعٍ أو عطشٍ.

وهذه الأسباب وغيرها كانت تؤدي إلى هجرة النجدي لموطنه، وقد اختلفت وجهات هذه الهجرات، فمنهم مَن هاجر إلى البحرين، ومنهم من هاجر إلى الكويت، ومنهم من هاجر إلى الزبير[2]، وإلى مدن جنوب العراق الأخرى، ومنهم من هاجر إلى الهند، وغيرها من الأماكن، ولكن تلك التي ذكرناها كانت أبرز أماكن الهجرة.

---

[1] عثمان بن بشر، *عنوان المجد في تاريخ نجد*، دارة الملك عبد العزيز، الرياض 1982، 1\299.

[2] مدينة تقع في محافظة البصرة جنوبي العراق وسُميت بهذا الاسم لوجود ضريح الصحابي الجليل الزبير بن العوام رضي الله عنه، حيث هاجر لها أهل نجد في بداية القرن العاشر الهجري واستمر إلى بداية القرن العشرين.

وقد امتاز أهل نَجْد بتكوين تَجَمُّعات سكّانية في المناطق التي هاجروا إليها، للحفاظ على تراثهم وعاداتهم وترابطهم، وقد اندمج هؤلاء المهاجرون مع البلدان التي رحلوا إليها وكانوا عناصرَ فاعلة وخيّرة في المجتمع، فلم تكن هِجراتهم على هيئة غزوٍ بربري، ولم يكونوا عبئاً على المجتمعات التي هاجروا إليها، ولكن مع المحافظة على عاداتهم وتقاليدهم ولَهَجاتهم التي احتفظوا بها طوال قرونٍ من الهجرة.

وقد امتازوا أيضاً بالهدوء والمسالمة سواء للناس الذين خالطوهم، أو بالنسبة للحكومات والسلطات التي كانوا جزءاً من رعاياها.

المبحث الثاني: الحالة السياسية

لقد عاشت نَجْد حالةً سياسيةً مضطربةً طوال قرونٍ قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فكانت هذه الدعوة هي الحَدَّ الفاصلُ بين عصر الدويلات المتناحرة والصغيرة، إلى عصرِ نواةِ أولِ كيانٍ سياسيٍّ مستقلٍّ في العصر الحديث لنَجْد، وإن شابَ هذا الكيانَ السِّياسيّ من عثراتٍ، وأخطاءٍ، وتلكؤٍ، وقلةِ خبرةٍ ودرايةٍ سياسيةٍ، في بعض الأحيان، لكن هذه العثرات والعقبات تمرُّ بها أغلب الدول في أولِ نُشوئها، فتحبو، وتقوم، وتسقط، وتقوم.

لذلك قسَّم الباحث الحالة السياسية في نجد إلى مطلبين:

المطلب الأول: الحالة السياسية ما قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

لقد كانت هذه المرحلة السياسية من تاريخ نَجْد، توصف بأنَّها مرحلة الدويلات الصغيرة والأمراء الكُثُر، فكان لكلِّ دويلةٍ أو لكلِّ منطقةٍ جغرافيةٍ صغيرةٍ أمير، وقد يتحالف بعض

هـؤلاء الأمـراء فيمـا بَيْـنَهم لفـترةٍ معينـةٍ، ولمصـالح محـدودة، ولكـن سـرعان مـا يَتَفَتَّـت هـذا التحـالف لموت أحد الأمراء، أو لخلافٍ على موارد الماء والكلأ.

وقـد امتـازت هـذه المرحلـة السياسـية بـنقص المعلومـات التاريخيـة الدقيقـة والغُمـوض الـذي أحـاط بهـا، وذلـك بالمقارنـة بالمرحلـة الـتي بعـدها، وقـد يَرْجِـع سـبب هـذا الـنقص وهـذا الغمـوض إلى، "انتقـال مركـز الخلافـة الإسـلامية إلى خـارج الجزيـرة العربيـة منـذُ عهـد الخليفـة الراشـد علـيُ بـنُ أبي طالـب رضـي الله عنـه ممـا أثّـرَ تأثـيراً بالغـاً في إحـداث فـراغٍ سياسـيٍ في المنطقـة ترتّـب عليـه فقدان المنطقة لأهميتها السياسية والتاريخية".[1]

وقـد تـلا هـذا الانتقـال السياسـي الكبـير نشـوء مراكـزَ علميـةٍ وثقافيـةٍ، ومراكـز سياسـية بعيـداً عـن هـذه المنطقـة، فكانـت الشـام ودمشـق بالتحديـد كعاصـمة للدولـة الأمويـة قُرابـة التسـعين عامـاً، وكـانَ العـراق وبغـداد بالتحديـد كعاصـمةٍ للدولـة العباسـية مـا يزيـد عـن خمسـة قـرونٍ، ثم إسـطنبول كعاصـمة للدولـة العثمانيـة قرابـة سـتة قـرونٍ مـن الـزمن، كـل ذلـك أبْعَـدَ منطقـة نَجْـد عـن مراكـز الحضارة.

و"لم تلـقَ الاهتمـام مـن البـاحثين والمـؤرخين الـذين اهتمـوا بتسـجيل الحـوادث المتعلقـة بالحُكَّـامِ تقـرُّباً أو رغبـةً في جـزاءٍ مـاديٍ، لـذلك أهملـوا مـا هـو بعيـد عـن مراكـز الحُكَّـامِ، وبطبيعـة الحـال كانـت

[1] بدرية البشر، *نجد قبل النفط*، جداول للنشر والترجمة، بيروت 2013، ص34.

نَجْد من ضمن المناطق المهْمَلة، ولولا الأهمية الإسلامية للمدينتين (مكة والمدينة) في نُفوسِ الحُكَّامِ المسلمين والعالم الإسلامي لكانَ نصيبهما من الاهتمام مثل نصيب نَجْد".[1]

وقد كانت منطقة الحجاز تابعة إلى العثمانيين، "حينما استولى السلطان سليم الأول العثماني على مصر سنة 923هـ (1516م) ... وأخذ موافقته على ولاية الشريف الجديد".[2]

أمَّا منطقة الإحساء وما جاورها فقد ظَلَّت تَموج ولفترةٍ طويلةٍ بالتقلبات السياسية، "وفي أثناء ذلك كان القادة العثمانيون قد عزموا على إدخال الجزيرة العربية تَحْتَ نفوذهم، وبخاصة بعد أن أصبحت الحجاز تابعة لهم وكان يدفعهم إلى تَرسيخ وجودهم في الجزيرة عاملان مهمان:

أحدهما: ما يَحُسُّ به عادة قادة كلِ دولةٍ قويةٍ من رغبةٍ في التوسع.

ثانيهما: ما كان القادة العثمانيون يشعرون به من واجب الدفاع عن منطقة تَضُم الأماكن الإسلامية المقدسة من الأخطار البرتغالية التي كانت تهددها حينذاك".[3]

لكن ظَلَّت منطقة نَجْد مفككة فلكل بلدةٍ زعامتها المستقلة، وكل بلدةٍ تسيطر بقدر استطاعتها على أكبر منطقة رعوية ممكنة، وقد أحاطت مناطق النفوذ العثماني منطقة نَجْد من

[1] بدرية البشر، *نجد قبل النفط*، جداول للنشر والترجمة، بيروت 2013، ص35.

[2] عبد الله صالح العثيمين، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، مكتبة العبيكان، الرياض 2005، 1\23.

[3] نفس المصدر، 1\33.

كل مكان، فكان أشراف مكة وأمراء الإحساء يقومون بالتوسعِ لبسط نفوذهم كلَّما دعت الحاجة على منطقة نَجْد.

وكانت هذه الزعامات لأمراء نَجد تنتمي لقبائل عربية مختلفة على أنَّ "قبيلة بني تَميم [1] احتلت فيما يبدو، مكاناً واسعاً بين تلك الزعامات لكثرتها العددية بين السكان من ناحية، ولنزعتها الاستيطانية المعهودة منذ زمن طويل من ناحية أخرى"،[2] وعلى الرغم أنَّ أغلب هؤلاء الأمراء هم ينتمون إلى قبائل محدودة، وقد يكون بينهم صلة قُربى، لكن هذه الصلة لم تمنع من قتال الأخ لأخيه، والقريب لقريبه

كل هذا الذي ذكرته يُشيرُ إلى حاجة منطقة نَجْد إلى تجمعٍ سياسيٍّ وحركةٍ إصلاحيةٍ دعوية تجمعُ شَتاتَ هذه القبائل المتناحرة، فأرضُها متعطشةً إلى مثل ذلك، وكذلك بُعْدَها عن القوى الإقليمية في المنطقة قد يُشَكِّل عامل نجاحٍ أولي، قد يلفت الأنظار إليه فيما بعد، إلى أن يحصل هذا التجمع السياسيّ على موطئ قدمٍ له، وهذا الذي حصل لنشوء أول كيانٍ سياسيٍ حقيقي في منطقة نَجْد بقيادة الأمير محمد بن سعود.[3]

---

[1] قبيلة أصبح أفرادها من حاضرة نجد وجبل شمر والدساكر النجدية، تحوي عناصر من تميم، ونظرا لتحضرها فقد أنعدمت من بينها الميزات التي تميز الأفخاذ والعشائر ولم يعد بالإمكان تفريقها إلى فرق...وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة حتى يتصلوا بالبحرين وانتشرت إلى العذيب من أرض الكوفة ثم تفرقوا في الحواضر. سلطان طريخم السرحاني، *جامع أنساب قبائل العرب*، دار الثقافة، الدوحة 1985، ص37.

[2] عبد الله صالح العثيمين، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، مكتبة العبيكان، الرياض 2005، 1\48.

[3] محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان من بني مانع المنسوب إلى مرة بن ذهل بن شيبان من عدنان، أول من لقب بالإمامة من آل سعود في نجد، وكان مقامه بالدرعية، ولي الإمارة بعد وفاة أبيه بسنتين وحسنت سيرته وقويت شوكته، وكان شجاعاً حازماً، توفي بالدرعية 1765. خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ط7 1986، 6\139.

المطلب الثاني: الحالة السياسية ما بعد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ونقصد به مرحلة ما بعد الاتفاق الذي تم بين محمد بن عبد الوهاب وبين محمد بن سعود، الذي يُعَد نقطة فاصلة، بين الشتات وعدم وضوح الهدف، وبين هدف مرسوم يسعى أهل نَجْد لتحقيقه. صحيح أن هذا الهدف استمر طويلاً إلى أن ظهرت ثمراته ونتائجه، وصحيح ما شابه من أخطاء وهفوات، لكن الوصول إلى الهدف، والنتائج التي ظهرت للعيان، تنسي تعب كل تلك السنين.

- **قيام الدولة السعودية الأولى.**

في عام (1744م-1157هـ)قامت الدولة السعودية الأولى وكان ذلك باتفاق الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع الأمير محمد بن سعود "على أن تكون الأمور السياسية في الدولة الجديدة لمحمد بن سعود وذريته، وأن تكون الشؤون الدينية لمحمد بن عبد الوهاب ونسله"[1] وقد اتخذت هذه الدولة الفتيَّة من الدرعية[2] عاصمة لها وبدأت بإخضاع المناطق المحيطة بها في نَجْد طوال أربعين عاماً إلى أن تمَّ لها ذلك بعد صراعٍ مريرٍ مع القبائل والإمارات الكثيرة المنتشرة في ربوع نَجْد.

[1] عبد الله صالح العثيمين، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، مكتبة العبيكان، الرياض 2005، 1\91.

[2] الدرعية: بكسر الدال، وإسكان الراء، وكسر العين، نسبة إلى الدروع وهم بطن من بني حنيفة، وتقع شمال غرب الرياض ويشقها وادي حنيفة نصفين وتقع منه في شبه خط متعرج، والدرعية بلاد زراعية كثيرة النخيل والأشجار. عبد الله بن خميس، *معجم اليمامة*، مطبعة الفرزدق الرياض ط1 1978، 1\416-424.

"وفي نهاية ربيع الأول من عام 1179هـ (1765م) تُوفي الأمير محمد بن سعود فَخَلفهُ ابنه عبد العزيز الذي كان تلميذاً للشيخ محمد الذي كان متمرساً في أمور الدولة العامة، وبارعاً في القيادة العسكرية".[1] وهكذا توفي الأمير محمد بن سعود، وكانت فترة حكمه في ظل الدولة السعودية الأولى قرابة عشرين عاماً بعد أن وطَّد الحكم في نَجْد، ورتَّب الأمر من بعد لنجله عبد العزيز.

"وفي عهد الأمير عبد العزيز بن محمد تمَّ الاستيلاء على الرياض ... وفي عام1218هـ (1803م) تم اغتيال الأمير عبد العزيز بن محمد، ثم أصبحَ الأمير سعود بن عبد العزيز حاكماً للدولة، حينها أدركت الدولة العثمانية الخطر الناشئ من هذه الدولة بعد أن هَددت زعامتها الدينية في منطقة الحِجاز، متمثلة بالسيطرة على مكة والمدينة، حتى ضَمَّت الإحساء والقطيف وسواحل الخليج العربي بعد ذلك، وقد كلَّفت بمهمة القضاء على الدولة السعودية الأولى محمد علي باشا،[2] وبعد أن اطمأن محمد علي إلى وضعه الداخلي، واستكمل الترتيبات اللازمة للحملة، انطلق ابنه طوسون عام 1226هـ (1811م)، ووصلت الحملة براً وبحراً إلى يَنْبُع، وكان عدد أفرادها ثمانية آلاف مقاتل".[3]

---

[1] عبد الله صالح العثيمين، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، مكتبة العبيكان، الرياض 2005، 1\109.

[2] 1770-1849محمد علي باشا بن إبراهيم أغا بن علي المعروف بمحمد علي الكبير، مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، ألباني الأصل، ولد في قولة التابعة الآن لليونان، واحترف تجارة الدخان، وكان أمياً تعلم القراءة في الخامسة والأربعين من عمره، واعتزل بالأمور لابنه إبراهيم باشا سنة 1848 وأقام في قصر رأس التين بالإسكندرية مريضاً إلى أن توفي بها ودفن بالقاهرة. خير الدين الزركلي، *الأعلام*، دار العلم للملايين، بيروت ط7 1986، 6\299.

[3] عبد الله صالح العثيمين، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، مكتبة العبيكان، الرياض 2005، 1\207.

وكانت وفاة الأمير سعود بن عبد العزيز عام 1229هـ (1814م) من الأمور التي أضعفت الدولة السعودية الأولى، لأنَّ ابنه عبد الله الذي خَلَفَه بالحُكم لم يكن على دراية كبيرة بالأمور العسكرية، ولم يكن مثل أبيه من حيث هيبة القبائل له.

ثم"استكمل محمد علي إستعدادته لحملة جديدة ضد الدولة السعودية أسندَ قيادتها إلى ابنه إبراهيم فخرجت الحملة من مصر ، فوصلت الحجاز سنة 1231هـ (1816م)، إلى أن وصلت هذه القوات إلى الدرعية عاصمة الدولة السعودية وبعد حصار طويل استسلم الأمير عبدالله بن سعود إلى قوات إبراهيم باشا 1818"[1] وبهذا انتهت هذه الدولة التي استمرت قُرابة السبعين عاماً، وبالرغم من سقوطها سياسياً لكنَّها تركت مُقومات دولة، وولاءٍ لحِكام، وقد أستشعر أهالي نجد أهمية قيام دولة تجمعهم وتلم شعثهم.

- **قيام الدولة السعودية الثانية.**

قامت الدولة السعودية الثانية بزعامة الأمير تركي بن عبد الله بن سعود، بعد أن عرف أهل نَجْد أهمية أن يكون لهم حاكماً واحداً يجتمعون حَوله، وكيانٍ سياسيٍّ ينتمون إليه، وبعد أن أدركوا ضَعفَ الخطر العثماني على منطقة نَجْد في تلك الفترة، وفي بداية "عام 1240هـ (1825م) كان استيلاء تركي بن عبد الله على الرياض في مستهل ذلك العام، ومنذ ذلك

[1] عبد الله صالح العثيمين، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، مكتبة العبيكان، الرياض 2005، 1\218 -219 -221.

التاريخ أصبحت الرياض مقراً للحكم السعودي"،[1] وقد كانت هذه الدولة تضم الإحساء وسواحل الخليج العربي وجنوبي نَجْد، لكنَّ الأمير تركي أغتيل عام 1249هـ-1834م وهكذا خسرت الدولة السعودية الثانية أبرز قادتها الأشدّاء، "وحينما وصل إلى فيصل بن تركي خبر اغتيال أبيه... جمع كبار قادة جيشه، وأطلعهم على ما حدث، فبايعوه بالإمامة"[2] فحاول توطيد الحكم مرة ثانية بعد اغتيال أبيه وتفكك دولته، وبدأ بتجميع قواته ودخل مرة ثانية العاصمة الرياض وقد حاصرته مرة أخرى القوات العثمانية وسيق إلى مصر أسيراً وبذلك انتهت فترة حكمه الأولى عام 1252هـ (1836م)، إلى أن عاد لها مرة أخرى بعد أن هرب من مصر عام 1259هـ (1843م) واستمرت فترة حُكمه الثانية قُرابة ثلاثة وعشرين عاماً.

"وفي عام 1282هـ-1865م توفي الأمير فيصل بن تركي"[3] وبعد وفاته بويع ابنه الأكبر عبد الله بالإمامة وظلَّ الصراع بينه وبين أخيه سعود سِجالاً، إلى أن توفي عبد الله بن فيصل في الرياض عام 1307هـ (1889م) فخلفه أخيه عبد الرحمن بن فيصل إلى أن استولى الأمير محمد بن رشيد [4] على الرياض" عام1309هـ-1891م والتقى الطرفان عند بلدة حريملاء[5]

[1] عبد الله صالح العثيمين، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، مكتبة العبيكان، الرياض 2005، 1\238.

[2] المصدر السابق، 1\253.

[3] المصدر السابق، 1\307.

[4] هو محمد بن عبد الله الرشيد حكم سنة 1289، ثم إن هذا الأمير كان حاذقاً مسيساً ومدبراًوذا رأي ودهاء، توفي سنة 1315. سليمان بن صالح الدخيل، *القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد*، دار اليمامة، الرياض ط1 1386، ص150.

[5] حريملاء بضم الحاء، وفتح الراء، وإسكان الياء، وكسر الميم، أما كيف ولماذا صغرت (حريملاء) بعد أن كانت (حرملاء) فهذا ما لا ندري سببه، وحريملاء بلاد عامرة ذات نخيل ومزارع، وسكان حريملاء أسر من قبائل شتى. عبد الله بن خميس، *معجم اليمامة*، مطبعة الفرزدق، الرياض ط1 1978، 1\317 – 321.

فـانهزم عبـد الـرحمن بـن فيصـل وأتباعـه"[1] بعـد معركـةٍ عنيفـةٍ مـع عبـد الـرحمن بـن فيصـل، وكانـت هـذه المعركة نهاية الدولة السعودية الثانية.

- **قيام الدولة السعودية الثالثة.**

كمـا أسـلفنا في الـذكر سـابقاً أنَّ ابـن رشـيد بعـد القضـاء علـى الدولـة السـعودية الثانيـة فإنـه قد سيطر على أغلب أراضي نَجْد إلى جنوب العراق.

وكانـت هـذه الفـترة بدايـة ظهـور شـاب طمـوح بإرجـاع حُكـمِ أبيـه، فكانـت بدايـة عبـد العزيـز بـن عبـد الـرحمن عنـدما شـنَّ حملـةً بقيادتـه مـع مجموعـة صـغيرة للسـيطرة علـى الـرياض "وهكـذا خطـا هـذا القائـد خطوتـه الأولى لاسـتعادة الحكـم السـعودي في الـبلاد، وتوحيـد أجزاءهـا المختلفـة. وبـدأت الدولـة السـعودية الثالثـة يـوم الخـامس مـن شـوال سـنة 1319هـ الخـامس عشـر مـن ينـاير عام 1902م".[2]

"وفي السـادس عشـر مـن صـفر عـام 1324هـ (10-4-1906م)، نقـل كشـافة الملـك عبـد العزيـز إليـه خـبر نـزول الأمـير عبـد العزيـز بـن رشـيد علـى بُعـد سـاعتين مـنهم في روضـة المهنـا... فعرفـه عـدد مـن هـؤلاء الأتبـاع وصـوبوا إليـه نـيران بنـادقهم، فخـرَّ صـريعاً وانهـزم أتباعـه"[3] وبمقتلـه يكون الملك عبد العزيز قد تخلّصَ من أعتى خصومه في الداخل.

ثم سـعى بعـد ذلـك للسـيطرة علـى الإحسـاء لأنَّهـا المنفـذ البحـري المهـم لقيـام دولتـه، وكانـت الأمـور مؤاتيـه لـه بعـد انشـغال العثمـانيين بجبهـة البلقـان وضـعف الحاميـة الموجـودة في الإحسـاء

[1] عبد الله صالح العثيمين، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، مكتبة العبيكان، الرياض 2005، 1\335.

[2] المصدر السابق، 2\53 -54.

[3] المصدر السابق، 2\104.

فـدخلها "عـام 4-5-1913 ثم قـام الملـك عبـد العزيـز بترحـيلهم (الحاميـة العثمانيـة) إلى العقـير، فـالبحرين".[1] فأرسـل العثمـانيون منـدوبهم "برئاسـة السـيد طالـب النقيـب [2]. واتفـق معـه (عبـد العزيـز) علـى أمـور، مـن أهمهـا اعترافـه بالسـيادة العثمانيـة مقابـل مسـاعدته بالمـال والسـلاح، وقـد صَـدّق البـاب العـالي علـى ذلـك الإتفـاق وشـكرَ الملـك عبـد العزيـز، كمـا منحـه نيشـاناً عثمانيـاً مـن الدرجة الأولى". [3]

بعـد أن اسـتقر أمـر عبـد العزيـز في نَجْـد والمنطقـة الشـرقية، أراد الـتخلص مـن الشـريف حسـين[4] في الحجـاز فسـارت قواتـه تجـاه مكـة وعـيّن خالـد بـن لـؤي علـى إمـرة الجـيش فـترك الأشـراف مكـة إلى جـدة ف"اتصـل عـدد ممـن كـانوا فيهـا بخالـد بـن لـؤي وطلبـوا أن يـدخلها بأمـان، فـدخلها ومعـه الإخـوان جميعـاً مُحـرمين مُهللـين مُكـبرين دون أراقـة دمـاء وذلـك في السـابع عشـر مـن ربيـع الأول عام 15-10-1924 وتولى خالد مقاليد الأمور فيها".[5]

---

[1] عبد الله صالح العثيمين، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، مكتبة العبيكان، الرياض 2005، 2\140.

[2] 1899-1929 طالب بن رجب بن محمد الرفاعي من أعيان البصرة، ولد وتعلم بها وأجاد مع العربية التركية والفارسية والإنكليزية، ولما نشبت الحرب العالمية الأولى 1914 كان في البصرة واحتل البريطانيون العراق، فنفوه إلى الهند فأقام بها زهاء عامين، ثم ذهب إلى ميونخ، وأجريت له عملية جراحية لم يحتملها، فمات متأثراً بها ونقل جثمانه إلى البصرة. خير الدين الزركلي، *الأعلام*، دار العلم للملايين، بيروت ط7 1986، 3\218.

[3] عبد الله صالح العثيمين، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، مكتبة العبيكان، الرياض 2005، 2\143.

[4] هو الحسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون ، يتصل نسبه بالحسن بن علي بن أبي طالب ، أمير مكة وملك الحجاز، وأول من نادى باستقلال العرب عن الترك ، وآخر من حكم مكة من (الأشراف) الهاشميين، ولد في الآستانة وكان أبوه منفيا بها، عام 1854، وانتقل معه وهو طفل إلى مكة ثم عين أميرا على مكة بعد وفاة والده وعمه واستعانت به الدولة العثمانية للقضاء على المتمردين في جنوب الجزيرة العربية، ثم قام بالثورة العربية عام 1916 ضد الدولة العثمانية، وبعد سيطرة عبدالعزيز آل سعود على مكة والحجاز فارتحل إلى جزيرة قبرص ثم إلى عمّان التي مات فيها ودفن في القدس عام 1931. الزركلي، *الأعلام*، 2\249.

[5] عبد الله صالح العثيمين، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، مكتبة العبيكان، الرياض 2005، 2\193.

وبعـــدها بعـــامٍ تقريبـــاً دخلـــت المدينـــة في حكمـــه عـــام 3-12-1925 بعـــد حصـــار، ثم استســـلامها، وبعـــدها بأيامٍ قليلـــةٍ دخلـــت جـــدة أيضـــاً في حكمـــه 21-12-1925، إلى أن جاء عام 23 -9-1932 فوحدها باسم المملكة العربية السعودية.

وقد امتازت الحالة السياسية لمنطقة نَجْد بالتالي:

1-علـــى الـــرغم مـــن قيـــام الدولـــة الســـعودية الأولى والثانيـــة والثالثـــة، إلا أنَّهـــا لم تســـتقر سياســـياً وعســـكرياً، حـــتى أوائـــل أربعينيـــات القـــرن الماضـــي، فضـــلَّت طـــوال تلـــك المـــدة الطويلـــة تَمـــوجُ بالحـــروبِ والاضطرابات.

2-كثرة الاغتيالات والغدر في صفوف الأمراء، فقد تعرض اثنين من الحكام للاغتيال.

3-كـــان مـــن أســـباب فشـــل الـــدولتين الأولى والثانيـــة، عـــدم المرونـــة السياســـية، وعـــدم إدراك ميـــزان القوى آنذاك.

4-كـــان مـــن أســـباب فشـــل الـــدولتين الأولى والثانيـــة، كثـــرة الغـــزوات الخارجيـــة، حيـــث أصـــبح للدولـــة الفتيّة أعداء كُثر وهي في مَهْدِها.

المبحث الثالث: الحالة العلمية

لقد مَرَّ التعليم في نَجْد بمراحل متعددة، فقد كان التعليم قبلَ قيام الدولة السعودية الأولى يكاد أن يكون محصوراً على أهل الحَضَر، وقد مَرَّ على نَجْد قبل قيام الدعوة وإنشاء الدولة السعودية الأولى الكثير من العلماء، الذين كانوا تؤطئةً لقيام الدولة السعودية، وقد استطاع هؤلاء العلماء بجهودهم المتواضعة، وبرغم صعوبات طلب العلم في ذلك الزمان وذلك المكان على تَرْك بصمةٍ طيبةٍ وأثرٍ طيبٍ. "فقد وجِدت أسرٌ علمية أخرى ساهمت في إثراء الحركة التعليمية بالعديد من العلماء الذين كان لجهودهم التعليمية وآرائهم وفتاويهم أثراً كبيراً في حركة التعليم في نَجْد منذ القرن العاشر". [1]

المطلب الأول: أنواع التعليم في نجد.

لقد مرَّ التعليم بنَجْدٍ بعدةِ مراحل، وكانت خطواته بطيئة، ومخرجاته تحتاج الكثير من العمل والتوجيه، وذلك لقلة ذات اليد من ناحية، وكثرة الاضطرابات السياسية من ناحية أخرى، لم تدع للمواطن النجدي سبيلاً لتحصيل العلم اللائق به.

وقد كان تلقيهم للعلم بطرقٍ مختلفةٍ، وفي مناطق مختلفة، فهنالك:

1- التعليم المحلي داخل بلدات نَجْد، وهذا كان غالب طلبهم للعلم.

2- التعليم بين بلدات نَجْد التي كانت معروفة بكثرةِ عُلمائها، مثل أشيقر والعيينة، ومن ثم الرياض فقد كان بعض طلاب العِلم ينتقلون من بلداتهم إلى تلك البلدات لطلب العلم.

[1] عبد الرحمن العريني، الحياة الاجتماعية عند حضر نجد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دكتوراه، 1989، ص115.

3- التعليم من خلال الرحلات خارج نَجْد وداخل الجزيرة العربية، كالحجاز والإحساء والبصرة.

4- الرحلات العلمية خارج الجزيرة العربية (وهو أقلها) مثل مصر وبلاد الشام.

وقد امتاز علماء نَجْد قبل الدعوة النجدية، أنَّهم كانوا يسايرون واقع المنطقة، ولم يكن لهم كثير إنكارٍ للمنكرات والمخالفات العقدية والفقهية التي كانت سائدة آنذاك، فلم يكونوا دعاةً مصلحين، وأصحاب هدف لتغير نَجْد نحو الأفضل، بل كانوا صالحين في أنفسهم.

"والواقع أنَّ كثيراً من علماء نَجْد في تلك الفترة قد نظروا في الكثير من العادات السائدة في المجتمع سواء تلك المتأصلة أو المكتسبة على نحوٍ يتفق مع العُرفِ السائد ولا يتعارض مع أصلٍ من أُصول الشرع، ومن الأمثلة على ذلك ما اعتاده أهل نَجْد في أعطاء أمراء بلدانهم مكوساً[1] تحتَ ضغوط من هؤلاء الأمراء، فلم يطلب علماء نَجْد من العامة رفض ذلك حتى لا يصطدموا بهؤلاء الأمراء، لكنَّهم لم يجيزوا فعلها بهذه الطريقة".[2]

ولقد كان في نَجْد نوعين من التعليم، وهذان النوعان أستمر إلى بداية قيام الدولة السعودية الثالثة تقريباً وهما:

1. **تعليم الكتاتيب:** حيث يُدرَّس القرآن الكريم وبعض مبادئ اللغة العربية والقراءة والكتابة، ويلتَحِق بهذه الكتاتيب من تسمح ظروفهم المادية بذلك من أهل الحضر.

[1] مَكَسَ: مَكْساً: جبى مالاً، والمكس: الجباية وهو أصل المعنى. أحمد رضا، *معجم متن اللغة*، دار مكتبة الحياة، بيروت 1960، 5\332.

[2] عبد الرحمن العريني، الحياة الاجتماعية عند حضر نجد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دكتوراه، 1989، ص208.

2. تعليم حلقات المساجد:

ويتركّز هذا النوع من التعليم على تَعلمِ القرآن الكريم واللغة العربية وأصول الدين والأحكام الفقهية، وهذا النوع من التعليم لم يكن منتشراً كثيراً، ولم يكن الإقبال عليه كبيرًا في بدايته، ولكن بمرور الوقت أصبحَ لهذا النوع من التعليم مكانته الرائدة في نَجْد.

المطلب الثاني: بعض مخرجات هذا التعليم.

وقد أفرز هذا النوع من التعليم عند البعض من المتعلمين، بالرأي الفكري الواحد، والمذهب الفقهي الواحد، وعدم إبداء مُرونة لكلِ مُخالف، وكذلك عدم تلطيف تلك الحلقات العلمية بالرقائقِ والزهدِ والمواعظِ التي تُهذِّب الأرواح والنفوس، إلى نشوء جيلٍ متشددٍ، بل وجامد تجاه مستجدات العصر.

فبدءَ هؤلاء بمعارضة الملك عبد العزيز بالخطوات والإجراءات التي اتخذها داخلياً وخارجياً، وهو الذي كان يدعمهم بالأمس القريب وهذا ما عاناه الملك عبد العزيز بما يُسمى بقضية الإخوان[1]، "وكان من مظاهر ذلك الغلّو إيقاف الناس في البلدان والهجر ومُساءلتهم عن أصول الدين وأحكامه، بل إنهم راحوا يَشكُّون في إيمان غيرهم من الحاضرة والبادية بحيث

[1] وذلك عندما بدأ هؤلاء الدعاة وبتوجيه من الملك عبد العزيز بدعوة البدو الرحل إلى دين الله القويم وترك ما اعتادوا عليه من غزو وسلب ونهب، والاستقرار في أماكن معينة(هجر) لكي يسهل تعليمهم وبناء مساجد لهم، وأصبح هؤلاء المستقرون الجدد والمنظمون إلى تلك الحركة يتخذون اسم (الاخوان) إشارة إلى أن ما أصبح يربط بينهم ليس رباط القبيلة، بل رباط الأخوَّة الدينية المقتبس من قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات 10/49). بتصرف عبد الله صالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، الرياض 2005، 2\162.

حرّموا ذبائحهم، وأباحوا الاعتداء عليهم، وأدرك الملك عبد العزيز ما قد يترتب على ذلك من عواقب وخيمة، فاستفتى العلماء، وأفتوا بأن تلك النظرة لا تتفق مع أصول الدين الحنيف"[1].

ثم انتقل هؤلاء الغُلاة من الذين تتلمذوا على فهم قاصر للدين إلى تَحْريم وتَكفير من يستخدم المخْترعات الجديدة، كوسائل النقل كالبرقيات والهاتف واستعمال المضخات لسحب ماء زمزم، وكذلك في مرونة الملك مع دولٍ أجنبيةٍ أو فئاتٍ أو مذاهب إسلامية مُعْتبرة، إذ يرى هؤلاء عدم المرونة أو التعامل معهم، وعندما تم الاتفاق بين حكومة العراق وبين الملك عبد العزيز على أن لا تعتدي قوات إحداهما على الأخرى "وكان معنى هذا في نظر هؤلاء المتشددين أنَّه قد سُدّت أمامهم طرقاً كانوا يعبرونها، للغزو والسطو المسلح، إمّا اعتقاداً منهم أنَّ أهل القطرين (العراق والأردن) يستحقون الغزو دينياً، أو رغبةً منهم في الحصول على غنائم"[2].

بل وصل بهؤلاء الإخوان الى مجابهة الملك عسكرياً والخروج على الدولة وعدم الخضوع للقوانيين، وهذا ما حَدَث في معركة "السَبْلة المشهورة عام 1929"[3] وهذا حال الغلوّ والتشدد في الدين، فالذي جرى بعد ذلك بخمسين عاماً في حركة الجهيمان[4] عام 1979 وما بعد ذلك في تسعينيات القرن العشرين إلى يومنا هذا من حالات تشددٍ وخروجٍ على الحُكَّام

[1] عبد الله صالح العثيمين، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، مكتبة العبيكان، الرياض 2005، 2\211.

[2] المصدر السابق، 2\214.

[3] المصدر السابق، 2\225.

[4] قرر جهيمان وجماعته دخول حرم مكة المكرمة في 1محرم 1400 الموافق 20-11-1979 وكانوا قرابة 300 شخص وادخلوا الأسلحة في جنائز نسائية، واستمر الحصار قرابة خمسة عشر يوماً، حتى استعانت المملكة العربية السعودية بقوات فرنسية لفك الحصار، وانتهى الحصار بقتل من قتل، وأسر من بقي حياً ومنهم جهيمان، ثم نفذ فيهم حكم الإعدام بعد فترة. أيمن محمد هاروش، فتنة جهيمان دراسة تحليلية ص43.

وزعزعة الأمن، كلّه نتيجة طبيعية لما يُدرَّس وما يُلقَّن به هؤلاء ومنذ نعومة أظفارهم، على أنَّ رأيهم الصواب لا يحتمل الخطأ، ورأي غيرهم الخطأ لا يحتمل الصواب.

وكذلك كان من أسباب هذا التشدد والغلو التقوقع في أماكن وحواضر بعيدة عن العالم وما يدور فيه من أفكار وشبهات وافتراءات على ديننا الإسلامي الحنيف، وعدم مُخالطة الناس، فيرى هؤلاء وكأنَّ العالم كله ما يرونه، ولا يوجد غيرهم من هو أهلٌ للعلم والفتيا.

وهذا لا يعني أنَّ كلَّ طلاب العلم، وكلَّ العلماء كانوا بهذه الصورة المتشددة والمتزمتة، بل كان هنالك من طلاب العلم والعلماء الربَّانيين الذين جمعوا بين التمسك بالدين الحق، مع فهم الواقع، وهؤلاء المشار إليهم كان منهم من درسوا وأخذوا العلم من مشارب مختلفة، ومن بلدان متعددة أو كانت لهم رحلات طافوا وجابوا العالم الإسلامي، وتيقنوا أنَّ الدين لا يقتصر على نَجْد وضواحيها، وأنَّ العالم أوسع من ذلك بكثير.

المطلب الثالث: نماذج من علماء نجد.

كما أسلفت أن لبعض المخرجات غير المنضبطة بالدين الحنيف، وتأثيرها السلبي على البلاد والعباد، فإن لبعضها الآخر الدور الإيجابي، وعامل بناءٍ وتنوير للأفراد والمجتمعات.

وقد كان هناك من يرتحل في طلب العلم سواء إلى الحجاز، التي كانت تزخر بالعلماء على مر العصور أو إلى الإحساء التي كان فيها عدداً لا بأس به من العلماء، أو إلى البصرة التي هاجر إليها الكثير من طلاب العلم، بل هاجر اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي كان النواة الأولى لتأسيس الدولة السعودية الأولى، فقد وردت معلومات عن وجود علماء في القرن

العاشر والحادي عشر الهجريين في نَجْد وكذلك شهدت الدولة السعودية الثانية الكثير من العلماء الأفاضل وكان بعضهم تعلم في الدولة السعودية الأولى ومنهم من نَضِجَ عِلمُه في عهد الدولة السعودية الثانية ومنهم:

1- عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب[1].

2- عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن[2].

3- عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين.[3]

4- عبد الله بن عبد اللطيف[4].

5- حمد بن عتيق الشيخ البسام [5]

---

[1] 1779-1869 من علماء نَجْد وهو حفيد العلامة ابن عبد الوهاب صاحب الدعوة إلى التوحيد، ويعرف هذا البيت بآل الشيخ، تفقه الشيخ عبد الرحمن بنَجْد ثم بمصر، له العديدة من المؤلفات، منها: الإيمان والرد على أهل البدع، ومجموع رسائل وفتاوي، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد. خير الدين الزركلي، *الأعلام*، دار العلم للملايين، بيروت ط7 1986، 3\304.

[2] - 1225-1293 ولد في الدرعية وانتقل مع والده إلى مصر وكان عمره ثمان سنوات ونشأ بمصر وتزوج بها واشتغل بطلب العلم هناك، ثم رجع إلى نَجْد عام 1264وتفرغ للتدريس معلماً وداعياً، له العديد من المؤلفات منها، مصباح الظلام في الرد على من افترى على الشيخ الإمام، رد على الشبهات الفارسية، منهاج التأسيس. المصدر السابق، 4\59.

[3] 1194 -1282 ولد في بلدة روضة سدير ونشأ فيها وتعلم على شيوخها، ثم ارتحل إلى شقراء والدرعية لطلب العلم على شيوخها، ثم عين في القضاء في العديد من مدن نَجْد والحجاز وعُمان والقصيم، له العديد من المؤلفات منها، مختصر بدائع الفوائد لابن القيم، تأسيس التقديس في الرد على ابن جرجيس، رسالة في تجويد القرآن. المصدر السابق، 4\97.

[4] 1848-1921 ولد في الهفوف خلال إقامة والده المؤقتة للعمل في الإحساء، ثم رجع مع والده إلى الرياض ونشأ وتلقى العلم فيها، ثم أنتقل إلى حائل في فترة حكم ابن رشيد، ثم عاد إلى الرياض، وعندما استولى عبد العزيز آل سعود على الرياض كان عوناً له وتزوج من ابنته طرفة والدة الملك فيصل بن عبد العزيز. المصدر السابق، 4\99.

[5] 1227- 1301 ولد في بلدة الزلفي من بلدان نَجْد، نشأ وطلب العلم فيها ثم انتقل إلى الرياض وتفرغ لطلب العلم فيها، ثم عين قاضياً في بلدات نَجْد، له العديد من المؤلفات منها، شرح التوحيد وابطال التنديد، ورسالة في بيان النجاة والفكاك، ورسالة الدفاع عن أهل السنة. المصدر السابق، 2\273.

- **تطور التعليم.**

وكان من أبرز خطوات الملك عبدالعزيز في نَجْد، إسكان البدو، وهذا ما ساعدهم على إرسال أبناءهم إلى الكتاتيب وإلى المدارس عندما أُنشات وقد كان تطور التعليم استجابة للاحتياجات الاجتماعية للمجتمع المستقر، و"كان التعليم العام للبنين في مدينة الرياض حتى عام 1930 يعتمد في مجمله على عدد من الكتاتيب المتناثرة داخل المدينة... وبدأ التطور في مضمون وشكل هذه الكتاتيب وأصبحت شبيهة في بعض خصائصها بالمدارس النظامية الجزئية في ذلك الوقت، بدأ هذا التطور حينما أمر المغفور له الملك عبد العزيز عام 1930 بافتتاح مدرسة لأبنائه في مكان مجاور لمجلسه في قصر الحكم وسط المدينة سميت بمدرسة الأمراء... وفي عام 1954 وبعد تكوين وزارة المعارف تم افتتاح أكبر مجموعة من المدارس الإبتدائية بمدينة الرياض حتى ذلك التاريخ".[1]

وهكذا يرى المتتبع، أن نَجْد وما جاورها ولأواسط القرن العشرين لم تنعم بتعليم نظامي واسع قادرٍ على إستيعاب المتعلمين، من أبناء نَجْد، فكان للكتاتيب، وحلقات المساجد الدور الأكبر في تعليم الناس وتثقيفهم. "وحتى عام 1956 كان التعليم بمدينة الرياض مقتصراً على التعليم الابتدائي، حيث لم يكن موجوداً قبل ذلك التاريخ مدارس متوسطة ولا ثانوية بالمدينة إذا استثنينا القسم المتوسط بالمعهد العلمي".[2]

[1] محمد دياب، الرياض *مدينة المستقبل*، المعهد العربي لإنماء المدينة، الرياض 2001، ص146.

[2] المصدر السابق، ص148.

- **تعليم البنات.**

أمَّا بالنسبة لتعليم الإناث فيكاد يكون نادراً للعقلية السائدة في ذلك الوقت في أغلب البلاد العربية، إذ كان التعليم ذكورياً في غالبه إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي إذ ظهرت بوادر في بعض الدول العربية والإسلامية لتكثيف وزيادة مدارس الإناث وكان هنالك تحفظ من قبل الناس تجاه هذه المدارس، والذي مَرَدّه التخوف من التمرد على بعض أحكام الشرع، أو النظر إلى المرأة نظرة دونية غير متزنة، فلم يكن التحفظ من قبل الناس للتعليم بذاته، بل كان في نوعيته وطريقته، ومن يقوم به، وإلى أي مدى سيصل بالفتاة العربية. هذه البوادر بدأت في بعض الدول كمصر والشام والعراق وبعض دول المغرب العربي، وفي مدنها الكبرى، أما القرى والأرياف والمدن الصغيرة في نفس تلك البلدان فظلت النظرة القاتمة هي السائدة.

هذا الوضع الذي ذكرته كان سائداً في بلدان وعواصم فيها من المدنية الحديثة الشيء الكثير، فما بالك في بلاد تحاصرها الصحراء من كل مكان، فقد عانت الإناث أكثر من الذكور في تأخرِّ التعليم بالنسبة إليهنّ،"وقد صدر الأمر السامي عام 1379-1959 بإنشاء جهاز يشرف على تعليم البنات بالمملكة ويتولى وضع خطط ومناهج خاصة به، وأُطلق عليه (الرئاسة العامة لتعليم البنات)، ويعتبر عام 1380- 1960 بداية التعليم في المملكة حيث تم افتتاح خمس عشرة مدرسة ابتدائية بمختلف المدن الرئيسة بالمملكة، وكان نصيب الرياض منها مدرستان ابتدائيتان".[1]

[1] محمد دياب، الرياض مدينة المستقبل، المعهد العربي لإنماء المدينة، الرياض 2001، ص151.

(خاتمة الفصل)

ذكرت في هذا الفصل، تاريخ المدرسة النجدية فذكرت البيئة النجدية وآثارها، وأن جغرافيا نَجْد القاسية، كانت عامل ثِقَلٍ وتعبٍ على كاهل الإنسان النجدي.

وإنَّ الهجرات التي اتسم بها أهل نَجْد، كان من أسبابها عدم الاستقرار السياسي، ومواسم الجفاف، وموجات الأوبئة والأمراض الفتّاكة.

وإنَّ الحالة السياسية في نَجْد ما قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت تتجاذبها النزاعات والحروب، ثم ذكرت نَجْد ما بعد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن أول كيان سياسي قد بدأت فصوله عام 1744م.

ثم ذكرت الحالة العلمية في نَجْد، وأنواع التعليم عند أهل نَجْد، وأنَّ التعليم وإلى ما بعد الدولة السعودية الثالثة كان في الكتاتيب والمساجد، ويحظى به قِلة من أفراد المجتمع المتيسرة حالتهم المادية.

وإنَّ بعض مخرجات هذا التعليم، كانت سلبية مما أفرز في البعض الغلو والتشدد والتكفير، بينما كانت بعض مخرجات هذا التعليم إيجابية، ببروز مجموعة من علماء نَجْد، وكيف كان تأثيرهم على مجتمعهم، ثم أشرت إلى خطوتين مهمتين ساعدتا على انتشار التعليم، وهما توطين البدو، وتعليم الإناث.

الفصلُ الثاني

مدرسةُ التفسيرِ النجدية

كانَ تفسيرُ كتاب الله تعالى على رأسِ اهتمام علماءِ هذه المدرسة، فبالرغم أنَّه لم يَكْتب علماء هذه المدرسة فيه الكثير ولم يؤلفوا فيه الغزير، لكنَّه كانَ حاضراً في دروسِ ومصنفاتِ ومواعظِ عُلماء هذه المدرسة، وكانت لهم بَصْمَتهم، ورؤيتهم ومنهجهم الجيد الذي لم يَخْرُج عن منهج علماء التفسير إجمالاً، لكنَّهم استفادوا ممن جاءَ قبلهم من علماء وأئمة التفسير المعْتبرين. ولأنَّ المدرسة النجدية قد ارتبطت بمشروعٍ سياسيٍّ، آمنَ بها، ونافحَ عنها، وارتبط مصيره بها من أول بداية نشأتها، فأعطى لهذه المدرسة المزيدَ من الرسوخ والثبات، فكانَ لها صفة الديمومة والاستمرار طوال فترة الحكم السعودي الأول والثاني والثالث.

المبحث الأول: منهج المدرسة النجدية.

لمعرفةِ منهجِ أي مدرسةٍ لابُدَّ من استقراء أقوالِ علمائِها، ونصوصِ مؤلفاتها، وحينئذٍ نستطيع تقييمها ووضعها بالمكان اللائق بها، بين المدارس التفسيرية المختلفة في العالم الإسلامي الكبير، فنلاحظ من ذلك ما يلي:

1- **التفسيرُ بالأثر**: اعتنت هذه المدرسة عنايةً فائقةً بالتفسير بالأثر، فالتزموا به، وأصَّلوه، ودعوا طلابَ العلمِ إليه، وهذا يظهرُ من خلالِ كتُبهم ونقولهم، والإعراض عن الرأي

المذموم، فهم يعتمدون على تفسير الأئمة المشهورين الذين يفسرون الآيات بالآثار المرفوعة والموقوفة عن الصحابة في التفسير، وعندهم أنَّ التفسير إذا ثَبَتَ عن الصحابة وأئمة السلف فهو حُجّةٌ عمَّا سواه.

ومن أمثلة ذلك: ما ذكره الشيخ ابن باز بتفسير قوله تعالى: "﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران 102/3)، يأمر عباده المؤمنين سبحانه وتعالى بأن يتقوه –جل وعلا – حق تقاته، وفسَّرها بقوله سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن 16/64)، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية: تقوى الله حق تقاته أن يطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر.

والمعنى: الزموا أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند حدود الله حتى تموتوا على ذلك، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، يعني: استمروا في طاعة الله وفي تقواه بأداء حقه، وترك ما نهى عنه؛ حتى تلقوه سبحانه وتعالى".[1]

2- **التفسيرُ بالرأي**: موجودٌ في تفاسيرِهم، ونعني هنا بالرأي: الاجتهاد والاستنباط مع اكتمال الآلات، لكنَّه ليس بالحجم الكبير مقارنةً بالتفسير بالأثر، فهم يأخذون منه بقدرِ ما يحتاجون إليه دون زيادة على ذلك، والأخذ بالرأي بما هو صالحٌ ومفيد.

ومن أمثلة ذلك: ما ذكره الشيخ عبدالرحمن الدوسري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾

[1] عبد العزيز بن باز، *مجموع تفسير آيات من القرآن الكريم*، دار القبس للنشر والتوزيع، الرياض 2014، ص74.

(المائدة 55/5)، "هذه أوصاف ذكرها الله سبحانه ميّزة لعباده المؤمنين الصادقين عن المنافقين الخائنين... إنَّ الزكاة ليست ضريبة (مدنية) تأخذها الدولة باسم الفقراء تحت أي عنوان من الأسماء والألقاب كما يتوهمونه، وإنَّما هي في مدلولها طهارة ونماء... ولمّا كان الصحابة وقت نزول الآية من مقيمي الصلاة ومؤتي الزكاة، وهم في كلتا الحالتين كانوا متصفين بالخضوع لله والتذلل له، نزلت هذه الآية بذكر هذه الأوصاف الجليلة التي أصبحت سمات شريفة لهم، والركوع هنا في قوله سبحانه: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، ظاهرة الخضوع لا الهيئة التي في الصلاة".[1]

3- **التفسيرُ باللغة:** موجودٌ ايضاً في تفاسيرِهم، لكنَّهم ليسوا ممن تشعَّبَ وانغمسَ في المعنى اللغوي عن المرادِ من كلامِ الله، والفائدة العملية المتعلقة بهذا النص القرآني، وقد كان ابن عثيمين استثناءً في ذلك، فكان في تفسيره يستطرد لغوياً.

ومن أمثلة ذلك: ما ذكره في تفسير "قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة 241/2)، الجملة مكونة من مبتدأ وخبر؛ فالخبر مقدم ﴿لِلْمُطَلَّقَاتِ﴾؛ والمبتدأ مؤخر؛ وهو قوله تعالى: ﴿مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ ومن ثم جاز الابتداء به وهو نكرة؛ لأنَّه يجوز الابتداء بالنكرة إذا تأخر المبتدأ".[2]

4- **اعتِمَادَهم بشكلٍ كبيرٍ في مصنفاتهم التفسيرية على أئمة أهل التفسير المعتبرين:**

أمثال، تفسير محمد بن جرير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، وتفسير

---

[1] عبد الرحمن الدوسري، *صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم*، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض 2005، 9\47.

[2] محمد بن صالح العثيمين، *تفسيرالقرآن الكريم*، دار ابن الجوزي، الرياض ط3 1435، 3\189.

الحسين بن مسعود البغوي، المسمى معالم التنزيل، وتفسير العماد إسماعيل ابن كثير، المسمى تفسير القرآن العظيم، فهذه المدرسةُ تستعينُ في فهم كتابِ الله تعالى بالتفاسير التي ذكرناها، وهي أبرزُ كتب التفسير التي استفادوا منها ولا تكادُ مصنفاتهم التفسيرية تخلو من هذه الاستشهادات والاقتباسات.

ولكنَّها كانت تناقش، وتُخالف بعض الأحيان، وترُد على بعض الأقوال والآراء التفسيرية، فلم تأخذ كل ما قال به هؤلاء المفسرون، وتسلِّم به؟ بل كان لها رأيها، واستنباطاتها، ومخالفاتها.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشيخ مساعد الطيار في تفسير قوله تعالى: "﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (النبأ 23/78)،... وفيه توجيه ذكره الطبري، فقال: وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك: لابثين فيها أحقاباً في هذا النوع من العذاب، هو أنهم: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ (النبأ 24/78-25)، فإذا انقضت تلك الأحقاب، صار لهم من العذاب أنواع غير ذلك".[1]

5- **الأثر الكبير لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم على تفسير هذه المدرسة:**

فقد استفادت هذه المدرسة من العالمين الجليلين، العلمين، ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فاستفادوا منهما كثيراً في إسقاط النصِّ التفسيريّ على الواقع، وفي توجيهِ الآيات، وفي الترجيح، وفي الجمع بين الآيات، فكانت لكتب العالمين الجليلين من أعز الكتب عند هذه المدرسة.

[1] مساعد الطيار، تفسير جزء عمّ، دار ابن الجوزي، الرياض ط8 1430، ص26.

وقد نقل ابن السعدي في تفسيره لسورة الفتح قصة الحديبية فقال: "ولنسق قصة الحديبية بطولها، كما ساقها الإمام شمس الدين ابن القيم في (الهدي النبوي[1])، فإنَّ فيها إعانة على فهم هذه السورة، وتكلم على معانيها وأسرارها"[2] ثم ساق القصة بأكملها عن ابن القيم.

لكنَّهم مع كثرةِ حُبهم، واستشهادهم، ونقلهم لأقوال هذين العَلَمين الهمامين، إلا إنَّهم لم يكونوا مقلدين لهما في كل آرائهم التفسيرية، كما ذكر ابن عثيمين في تفسيره، عندما ناقش رأي ابن القيم في فناء النار أو بقاءها؟ فقال: "ذكر بعض العلماء إجماع السلف على أنَّها تبقى ولا تفنى... ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (الجن 23/72)، وليس بعد كلام الله كلام؛ حتى إني أذكر تعليقاً لشيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله على كتاب (شفاء العليل) لابن القيم؛ ذكر أنَّ هذا من باب: (لكل جوادٍ كبوة، ولكل صارمٍ نبوة) كيف إنَّ المؤلف رحمه الله يستدل بهذه الأدلة على القول بفناء النار مع أن الأمر فيها واضح"؟ [3]

6- **يأخذون بمنهجِ أهل السنة والجماعة من سلفِ هذه الأمة في بابِ الاعتقاد:** ولم يتجاوزوه إلى غير ذلك، فهم يُجْرُونَ النصوصَ على ظاهرِها في بابِ صفاتِ الله عز وجل فلا يؤولوها ولا يحرِفوها، ومعلوم التلازم الكبير والوثيق بين المنهج في التفسير، وبين ما يعتقده المفسر.

---

[1] – محمد بن أبي بكر بن القيم، *زاد المعاد في هدي خير العباد*، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1 1994، ص427.

[2] عبد الرحمن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان*، مركز الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص796.

[3] محمد بن صالح العثيمين، *تفسيرالقرآن الكريم*، دار ابن الجوزي، الرياض ط3 1435، 1\86 -87.

ومن أمثلة ذلك: ما ذكره الشيخ ابن عثيمين في تفسير قوله تعالى: "﴿وَيَسأَلونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِن أَمرِ رَبّي وَما أوتيتُم مِنَ العِلمِ إِلّا قَليلًا﴾ (الإسراء 85/17)، فما كان أعظم من الروح، فهو أولى بالخفاء علينا.

ولهذا ضرب شيخ الإسلام (ابن تيمية) رحمه الله في العقيدة التدمرية[1]، ضرب مثلاً بالروح قال: روح الإنسان مجهولة لا يعلم من أي عنصر هي، ولا يعلم كيفية الروح، إلا ما جاءت به الشريعة فقط، من أن الروح تقبض وتجعل في كفن عند الموت وتُحنَّط، ويصعد بها إلى السماء، وتقبض، ما عدا ذلك ليس لنا علم، فإذا كان هذا شيء مَخْلوق، أي: أننا لا ندركه مع أنَّه شيء مخلوق فما بالك بالخالق، المخالف لجميع الأشياء، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾".[2]

7- **تعظيمُ النصوصِ، وتقديمُها على آراء الرجال**: فهذه المدرسة من أهم ما تلتزم به تعظيم النص، من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ الصحيحة، وتقديمها على من سواها من آراء الرجال.

ومن أمثلة ذلك: ما ذكره الشيخ مساعد الطيار في تفسير قوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (النازعات 17/79)، فذكر في الحاشية: "فرعون لقب ملك مصر في عهد الفراعنة... وهل فرعون الولادةِ هو فرعون الخروج، أم لا؟ في ذلك خلاف بين المؤرخين الذين درسوا هذه الفترة، ونص القرآن يعطي أنَّه فرعونٌ واحد؛

[1] أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، العقيدة التدمرية، مكتبة السنة المحمدية، ص18-19.

[2] محمد بن صالح العثيمين، *تفسيرالقرآن الكريم*، دار ابن الجوزي، الرياض ط3 1435، 2\250.

كقولـــه تعـــالى: ﴿قَـــالَ أَلَمْ نُرَبِّـــكَ فِينَـــا وَلِيـــدًا وَلَبِثْـــتَ فِينَـــا مِـــنْ عُمُـــرِكَ سِـــنِينَ﴾ (الشـــعراء 18/26)، والله أعلم بما كان، وليس في ذلك كبير أهمية".[1]

8- **البعـــدُ عـــن الأحاديـــث الضـــعيفة والموضـــوعة:** فـــأكثر مـــا في مصـــنفاتهم التفســـيرية أحاديـــث صـــحيحة، وآثار الصـــحابة والتـــابعين وأتبـــاعهم الثابتـــة، فعنـــد هـــذه المدرســـة لا يجـــوز تفســـير القـــرآن بأقـــوالٍ شـــاذةٍ أو موضـــوعةٍ لا تَثْبُـــت عنـــد أهـــل العلـــم، وأئمـــة التصـــحيح والترجـــيح، إلا فيما ندر.

9- **سُـــهولةُ التنـــاولِ ووضـــوحُ الأُســـلوب:** فتجـــدُ كلامهـــم عميقـــاً ســـهلاً، فهـــي معادلـــة صـــعبة لمـــن تفحصـــها، ولا يُحســـنها كـــل أحـــدٍ، فأحيـــاناً تجـــد كلامـــاً عميقـــاً ودقيقـــاً لكنَّـــه صـــعب الفهـــم علـــى المبتـــدئين في العلـــم فضـــلاً عـــن العـــوام، وإمَّـــا أن يكـــون الكـــلامُ ســـهلاً يخلـــو مـــن العمـــقِ والدقـــةِ والمتانـــةِ العلميـــة، فتجـــدُ في تفســـير ابـــن الســـعدي، وتفســـير ابـــن عثيمـــين مثـــالاً واضـــحاً علـــى ذلـــك، فتجـــد في كلامهـــم وضـــوحُ الأســـلوبِ، ودقـــةُ العبـــارة، في اختيـــاراتهم وفي مـــوازنتهم بـــين أقـــوال المفســـرين أو لجمعِهـــم بـــين أقـــوالهم، مـــع وضـــوح وتلقائيـــة في العبـــارة، فأقوالهم سهلة التناول، واضحة الأسلوب.

10-**عـــدمُ الخـــوض في علـــم الكـــلام، ومصـــطلحاته الجافيـــة:** فتجـــد كلامهـــم في تفســـير كتـــاب الله تعـــالى وفي غـــيره، خاليـــاً مـــن حجـــج وإثبـــاتات علـــم الكـــلام، بـــل تعتمـــد علـــى الدليل النقلي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

[1] مساعد الطيار، تفسير جزء عمّ، دار ابن الجوزي، الرياض ط8 1430، ص41.

11-**البعد عن الإسرائيليات والتحذير منها**: وعدم الخوض في قصصها الوارد في تفسير بعض المفسرين، وقد فصَّلتُ ذلك في الفصل الخامس-المبحث الثاني –المطلب الثالث، من هذا البحث.

المبحث الثاني: أبرزُ الموضوعات التي ركزت عليها هذه المدرسة.

لقد كانت الموضوعات التفسيرية متعددة ومتنوعة، وكان الكثير منها يتمحور حول القضايا العقدية، وقد كان هذا التركيز على موضوع التوحيد أحد المآخذ على هذه المدرسة، إضافة للمآخذ الأخرى التي سوف أذكرها في المبحث الثالث من هذا الفصل، فإنَّ موضوعَ التوحيد يَحْتَلُّ مساحةً كبيرةً في نصوص علماءِ المدرسة النجدية في التفسير، لأنَّ التوحيد ليس كبقية الموضوعات التي عالجتها آيات القرآن الكريم، فهو أبرزُها وأهمُّها. فقد أفاضوا وأجادوا في هذا الموضوع ولا سيّما في توحيد الألوهية، وهذا عائد لعدة أمور منها:

1- تقرر هذه المدرسةُ، أنَّ القرآن كلَّه جاء لبيانِ التوحيد، والدلالةِ عليه، وإرشاد الخلق إلى ما يترتب عليهم القيام به، فالقرآن من أوله إلى آخره جاء لبيان ذلك.

2- إنَّ النزاعَ بين الرُّسل وأقوامهم كان في هذا النوع من التوحيد.

3- ما يوجد في بعض فئامِ المجتمعِ من جهلٍ وانحرافٍ عن جادة الصوابِ في هذا الباب من التوحيد، مما يستدعي حديثاً مطولاً عن هذا الباب.

4- وتقرر هذه المدرسة أنَّ القرآنَ كلَّه يدلُّ على وجوبِ إخلاص العبادةِ لله، والبراءةِ من عبادة ما سواه، وإسلامُ الوجوه له جل جلاله.

5- فتقرر هذه المدرسة في تفسيرها لكتاب الله، على بيان التوحيد وحقيقته، ومعناه: إفرادُ الله بجميع أنواع العبادة المشروعة دون سواه.

6- وتحذر من الشرك في تفسيرها لكتاب الله، وأنَّ القرآن من أوله إلى آخره جاء ببيان أنواع الشرك، وصرف أي نوعٍ من أنواع العبادة للمخلوق، لأنَّها تَعْرف وتُقَدر ما وقع فيه كثير من الأمة بأنواع الشرك الأكبر، وخفائه على الأكثر، إلا من شَرَحَ الله صدره للحق وتدبّرَ معاني القرآن، بخلاف من أعرض عن كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

7- وتقرر هذه المدرسة أيضاً أنَّ المقصد الرئيسي في القرآن هو توحيد الله، ومن أجله أُنزلت الكتب، وأُرسلت الرسل، ثم تأتي بعد ذلك موضوعات أخرى، لكنَّها تابعة لهذا المقصد الرئيسي.

وقد قسَّمَ أهل العلم في هذه المدرسة موضوعات القرآن الكريم إلى قسمين، وهذان القسمان قد ارتبطا بالتوحيد، بأكثر صورها، وهي كالآتي:

المطلب الأول: الأخبار.

- **عن الله تعالى وما يتعلق بأسمائه وصفاته:** فهذا كلُّهُ داخل في توحيده جل جلاله، فله سبحانه الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيها أحد في الوجود.

- **عن الساعة والجنة والنار**: وهذا يدخل في جزاء الموحدين وكرامته لهم في الدنيا، وما لهم وما أعدَّ الله لهم في دار الكرامة والنَّعيم، وحال المشركون وما فُعل بهم في الدنيا، وما لهم وما أعدَّ الله لهم في الآخرة.

- **عن الأمم الماضية**: من قصص الأنبياء وصراعهم مع أقوامهم، وحال المصدقين بهم وحال المكذبين، فهذا أيضاً داخل في التوحيد لأنَّ أول دعوة الرُّسل إلى أقوامهم التوحيد ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (النحل 36/16)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء 25/21).

المطلب الثاني: الشرائع.

- **العبادات**: من صلاة وصوم وحج وزكاة وغيره، فهذه من لوازم التوحيد، فهي تُنظم عَلَاقة الإنسان بربه، وفيها من معاني التوحيد من تذللٍ لله وانقيادٍ وخضوع له الشيء الكثير.

- **المعاملات**: من عقودٍ وتصرفاتٍ وعقوباتٍ وجناياتٍ، تُنظم عَلَاقة الإنسان مع أخيه الإنسان سواءً كانوا أفراداً أو جماعات، فيها من تمام الانقياد لأوامر الله تعالى، باتباع ما أمر، والانتهاء عمّا زجر، وإنها إن لم تكن على منهج الله ووفق الضوابط التي حددها الله فهو خروج عن الألوهية.

المبحث الثالث: المآخذ على هذه المدرسة.

لا شك أنَّ لكل مدرسةٍ من المدارس التفسيرية، مَواطن قوةٍ، اعتنت بها وأولتها إهتماماً كبيراً، ومساحةً تفسيريةً واسعةً، ومواطن ضعفٍ، لم توفِها القدر الكافي من الاهتمام، والمدرسة النجدية في التفسير إحدى هذه المدارس، وكان من المآخذ التي قيلت فيها إنها ركَّزت على جانب التوحيد، على حساب الجوانب الأخرى، وقد وبيَّنتُ سبب ذلك في المبحث السابق من هذا الفصل (المبحث الثاني)، وقيل في هذه المدرسة أيضاً مآخذ أخرى.

وأذكر في هذا المبحث أهم المآخذ التي قيلت في هذه المدرسة، للوصول إلى الصواب في ذلك، والصواب الذي أقْصِده، هو عرض الأمر على المصادر الشرعية والعلمية المعْتَمَدة وليس الحُكْمُ المسبقُ، والنتائجَ المسبقة.

المطلب الأول: قلة المصنفات التفسيرية في هذه المدرسة.

إنَّ من بين المآخذ التي قيلت في هذه المدرسة قِلَّة المصنفات التفسيرية على الرغم من امتدادها لثلاثةِ قرون، وأنَّ هذه المدرسة لم تُخَرّج سوى مصنف واحد جمع تفسير القرآن كاملاً، ألا وهو تفسير ابن السعدي، فهل فعلاً كانت مصنفات هذه المدرسة قليلة؟

إنَّ ثلاثة قرونٍ في عُمْر الأمة ليست بالمدة الطويلة جداً؟ رغم أنَّ هذه القرون الثلاثة قد عانت نَجْد من الاضطرابات السياسية والاقتصادية والبيئية، ما ذكرته بالفصل الأول من هذا البحث، وأنَّ هذه القرون الثلاثة، لم تنعم نَجْد بالاستقرار السياسي الحقيقي، والانتعاش الاقتصادي، والبناء التعليمي، إلا ما يقارب السبعون عاماً الأخيرة تقريباً.

لقد اعتمدت هذه المدرسة في التفسير على مصنفات من سبقها في التفسير لأولِ قرنين من بداية نشوئها تقريباً، ولكن بعد الاستقرار في الثلث الأول من القرن العشرين، بدأت هذه المصنفات التفسيرية لهذه المدرسة بالظهور، وبدأ نتاجهم التفسيري واضحاً للعيان، بظهور كوكبةٍ من علماء التفسير، وسوف أذكر ذلك في الفصل الثالث من هذا البحث.

والجدير بالذكر أن قيمة وأهمية المدرسة ليس بعدد مصنفاتها التفسيرية، بل بقيمة هذه المصنفات العلمية، وهل أضافت إلى التفسير شيئاً؟ وهل الناس والمجتمع بحاجة في ذلك الزمان وذلك المكان لمصنف تفسيري جديد؟

فيتضح لنا مما سبق الآتي:

1- الاكتفاء بما كُتب من المؤلفات، والتصانيف التفسيرية فهي وافيةٌ وكافية، فقد حمل علماء هذه المدرسة على عاتقهم مهمة تعليم الناس أمر دينهم، وكما هو معلوم أنَّ التأليف يتطلب حيّزاً ووقتاً ليس عندهم منه الشيء الكثير.

2- اتخاذ الدرس التفسيري وسيلة للدرس العقدي.

3- كان أغلبهم يعيش الدعوة مع الناس، فهو إمام وخطيب، وواعظ ومدرس وقاضٍ.

4- إن المصنفات التفسيرية كانت قليلة في الدولة السعودية الأولى والثانية، بل اعتمدت بشكل كبير على ما صُنف سابقاً، ولكن وبعد مرور عقدين على قيام الدولة السعودية الثالثة، وعندما بدأ الاستقرار يأخذ مكانه في حياة الناس، وبدأت حاجة الناس لمصنفاتٍ تفسيريةٍ جديدةٍ، ظَهَرَ جيلٌ ممن حمل راية علم التفسير، فأسهم بشكل كبير وفعَّال في المادة التفسيرية.

المطلب الثاني: تشدد هذه المدرسة.

فقد وصفت هذه المدرسة قديماً وحديثاً من البعض بالتشدد، وأنَّ ما يَخْرُج من هذه المدرسة قد وصِف بالشدةِ والغِلظة والتَّعَنُّت وعدم قبول الآخر، فلنأخذ هذه التهمة ونرى مدى صحتهما وهل فعلاً أن ما صدر من هذه المدرسة، التشدد أوصافه، والغلظة سمته؟

لقد وصِفت هذه المدرسة وعلماءها في القديم والحديث من البعض، سواءً في علم التفسير أو في العلوم الشرعية الأخرى بالتشدد والتعصب في الفهم والعمل.

ولقد ظهر ممن ينتسب إلى هذه المدرسة من يوصف بالتشدد في بعض الأحكام، وعدم قبول الآخر والغلظة، وهذا موجود وملاحظ في بعض أفراد هذه المدرسة، وكان السمة الغالبة للمراحل الأولى لتأسيسها، والملاحظ أيضاً أنَّه كان هنالك تياران متجاذبان في هذه المدرسة، تيار معتدل متفهم، وتيار متشدد منغلق، ومع مرور الزمن ضعف التيار المتشدد، وبرز وظهر التيار المعتدل المتفهم في هذه المدرسة، والمتفحص الناقد الخبير يرى أن التشدد موجود في كل الاتجاهات والأفكار والمذاهب والأديان، وهذا نابع للفهم والخلفية العلمية والثقافية والبيئية.

"فالتشدد أمر نسبي فما يراه البعض تشدداً، يراه آخرون ديناً صحيحاً، وما يراه البعض تساهلاً وتفريطاً يراه آخرون إسلاماً عصرياً معتدلاً، والمرجع لأصل الخلاف في ذلك هو النظر الشرعي المدعوم بالأدلة والأصول التي قررها الأئمة لاستنباط الأحكام الشرعية".[1]

[1] عبد الصمد الحديثي، *الدعوة النجدية وتهمة البداوة والتشدد والفقه البدوي*، مركز سلف للبحوث والدراسات، ص4.

كذلك أنَّ التشدد قد وصُف به قديماً وحديثاً كُلَّ مخالف، فقد وصُف الإمام أحمد بن حنبل من مخالفيه بالتشدد والجمود، وقد وصُف ابن تيمية من مخالفيه بالتشدد، وقد وصُفت المدرسة الأندلُسية للتفسير بهذا الوصف من قِبل خصومها، أو ممن لا يوافقونهم هذا المنهج التفسيري، والأندلُس كما هو معلوم قد كانت حاضرت أوربا لقرونٍ طويلة، كما كانت بغداد حاضرة العالم أجمع عندما أتُّهِم أحمد بن حنبل بالتشدد.

والفَيْصل في ذلك شرع الله، فما وافق شرع الله جل جلاله وهدي رسوله ﷺ أخذنا به، وما خالفهما أعرضنا عنه، سواء رضي من الخلق من رضي، أو سَخط من الخلق من سخط، وليس العرض على الأهواء وما جرت به العادة، وتتبع سقطات العُلماء يكون العرض.

فإنَّ من وصف هذه المدرسة بالتشدد بعمومها وبجميع ما صدر عنها هو من أحد صنفين:

1- صِنفٌ يريدُ تمييع الدين، والإتيان بدينٍ جديدٍ يلائم الغرب ويلائم الشرق، ويلائم أصحاب الأفكار المنحرِفة، وينسف ثوابت الدين ومرتكزاته، ويلائم الغرب ومرتكزاته، بِحُجَّة مواكبة العصر والخوف من الاتهام بالتشدد والتخلف والرجعية وعَدَم التحرر والانفتاح.

2- صنف رأى في المسائل الفقهية الخلافية (وهي من خلاف التنوع)، أو التأويلات التفسيرية التي يحتمِلُها المعنى، سبيلاً للطعن في هذه المدرسة وعلمائها، وهذا لا يعني عدم مناقشة الأمر الشرعي وعرضه على أدلتهِ من الكتاب والسُّنَّة لمعرفة حُكْمِ الله فيه،

أمَّا إن كانت مسائل خلافية (وهذا أكثرها) فحينئذ لا يُمكن وصَف جهةٍ بالتشدد، وأخرى بالتساهل، بل ببيان الرأي الصحيح من الخطأ، والرأي الراجح من المرْجوح.

وإذا كان عند بعض أفراد هذه المدرسة تشدد وغِلظه، فهذا القول يُحْسب على قائله، وليس على أمّة من العلماءِ، ومدرسة كبيرة قد عُرف فَضلها، وقد ذكر من انتسب إلى هذه المدرسة عدمِ صوابِ أئمة أهل الحديث في بعض المسائل، ومُخالفتهم لهم، دون الْقَدْح بشخوصهم، ودون نَعْتهم بالأوصاف المذكورة سابقاً.

المطلب الثالث: بداوة هذه المدرسة.

أما التهمة الأخرى فهي تهمة البداوة، فقد وصَفَ مبغضي هذه المدرسة أنَّ جميع ما صدر عنها، ينفع بدو الصحراء الغِلاظ الجِلاف، الذين ليس للحضارة والتمدن والثقافة سبيل إلى عقولهم وإلى تصرفاتهم، فهل فعلاً كانت ولا زالت نَجْد صحراء يسكنها البدو الرُّحَّل؟

لم تكن نَجْد جميعها صحراء قاحِلة، يَسْكنها البدو الرُّحَّل، الذين وصُفوا عند منتقدي هذه المدرسة بالبداوة، فقد كانت هنالك حواضر مأهولة بالسكان قبل الدعوة الإصلاحية وبعدها، وهذه الحواضر وإن كانت بسيطة التكوين، لكنَّها مجتمعات مستقرة، فوصف جميع نَجْد بالبداوةِ جهلٌ بحقيقة تلك المنطقة.

وكان وصف البداوة ليس من باب وصف الشيء على حقيقته (كأن تقول أهل الريف وأهل البحر وأهل الجبال) بل هو وصفٌ للذمّ والاحتقار، ووصف بالدونية، وقد وصَفَ تلك المنطقة بعض أصحاب المدن الكبيرة، وكأنَّهم المثال والقدوة التي يُحتذى بها في كل شيء، ولا

زالت توصف منطقة نَجْد عند كلِّ خلافٍ ونزاعٍ مع هذا الطرف أو ذاك بالبداوة، بالرغم أنَّ نَجْد الآن تضاهي الدول الأوربية بعُمرانها وتطورها.

أيضاً أنَّ منتقدي هذه المدرسة هم يرددون كلام المستشرقين، بوصفهم للإسلام بدين البداوة والهمجية والتخلف، فبيئة الإسلام التي ظَهرَ فيها، ليست ببعيدة عن بيئة نَجْد، فغالب منتقدي البيئة المكانية، هم من السطحيين، والذين عندهم قناعات مُسْبَقة قبل الخوض في البحث والتحليل، ثم بعد ذلك يُثبِتون ما أستقر في أذهانهم بأدلةٍ واهيةٍ، نظراً لطغيان الفكر المادي وميله لإيجاد تفسير لجميع الظواهر، وهذه الأحكام المسبقة تجد رواجاً كبيراً عند أصحاب الهوى والمذاهب المنحرفة.

لقد كان زَعْم أصحاب هذه الشُّبُهات أنَّ مستوى التمدُّن والبيئة الاجتماعية والتكوين المكاني، هو العامل المهم في تقييم مدى صواب أو خطأ هذا الأمر، أو هذا الفكر أو ذاك، فلماذا لا يناقش الفكر، والرأي، والدليل؟

(خاتمة الفصل)

لقد ذكرت في هذا الفصل، المدرسة النجدية في التفسير، وبيَّنتُ منهج المدرسة النجدية في التفسير، الذي يستَند على أصول التفسير المعْتبرة، من تفسيرٍ بالأثر (وهو غالب منهج هذه المدرسة)، وتفسيرٍ بالرأي المحمود (وكان ذلك فيما تدعو إليه الحاجة)، وغيرها من قواعد التفسير، وأن أهم ما تناولته المدرسة النجدية في التفسير بمصنفاتها التفسيرية التوحيد الذي كان السِّمةَ الغالبة في موضوعات هذه المدرسة، وكان هذا التركيز على هذا الجانب أحد المآخذ على هذه المدرسة.

أما المآخذ الأخرى على هذه المدرسة فكانت:

1-قِلّة المصنفات التفسيرية: وبينت أنَّ هذه المدرسة رغم أنَّ عُمْرُها ثلاثة قرونٍ غير أنَّها لم تَنْعم بالاستقرار السياسي والاقتصادي والثقافي إلا آخر سبعين سنة، وأنَّ هذه السبعون سنة كانت حافلة بكثير من المصنفات في علم التفسير.

2-التشدد: وأنَّ المدرسة النجدية لا توصف جميعها بالتشدد ولا يُلصق هذا الأمر على جميع عُلمائها، فكان فيهم المنصِف والمعتدل، وصاحب الرأي الحصيف، والمتَفهم لأحوال عصره، وكان فيهم غير ذلك، حالهم حال كل الأفكار والمبادىء والاتجاهات والمذاهب.

3-البداوة: أنَّها قِيلت فيهم لغرض انتقاص المقابل، وليس لوصف حالة المجتمع، وأنَّ نَجْداً كان فيها حواضر أقرب إلى المدنية منها إلى البداوة، أمَّا في الوقت الحاضر فما تراه وتشاهدهُ، خيرُ دليل على ما أقول.

الفصل الثالث

أعلام التفسير في المدرسة النجدية

إنَّ لكلِّ عصرٍ رموزه، ولكلِّ مدرسة علمية أعلامها؛ التي من خلالها يتضح تَوَجُّهُ، وطريقةُ، وأسلوبُ هذه المدرسة، وبدراسة هؤلاء الأعلام بالتسلسل التاريخي يتَّضحُ لنا مدى تطور ونضوج هذه المدرسة، والسِمات الغالبة لكلِّ فترة زمنية.

ولقد مرَّت المدرسة النجدية في التفسير بمراحل متدرجة في النضوج والعلمية والموضوعية، فمن مرحلة البدء والتأسيس، إلى مرحلة النضوج والعلمية، إلى مرحلة التطوير والإضافة، وسوف أذكر في هذا الفصل هذه المراحل، بثلاثة مباحث.

المبحث الأول: مرحلة البدء والتأسيس.

لقد بدأت المدرسة النجدية في التفسير بكوكبة من العلماء، وقد عانت هذه المدرسة في بداياتها بِقِلة مصادرها وقلة نتاجها التفسيري، لانعزالها، وقِلة احتكاكها بأمصار العالم الإسلامي من حولها، وكثرة الاضطرابات السياسية كما أسلفت في الفصل الأول.

ويمكن حصر هذه المرحلة ببداية تأسيس الدولة السعودية الأولى عام1744م إلى بداية تأسيس الدولة السعودية الثالثة عام 1902م، وكان من ثمار هؤلاء العلماء الذين وضعوا اللبنة الأولى لهذه المدرسة، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي سوف أذكر بعضاً مما قدم في مجال

تفسير كتاب الله عزوجل، من خلال تفسيره (تفسير آيات من القرآن الكريم/الشيخ محمد بن عبد الوهاب).

المطلب الأول: محمد بن عبد الوهاب، نسبه، ومنهجه في التفسير.

نسبه:

"هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف، وُلد، رحمه الله تعالى، سنة خمس عشر بعد المائة والألف من الهجرة النبوية (1703م)، في بلدة العيينة من البلدان النجدية".[1]

منهجه في التفسير:

وكان منهج الشيخ في التفسير:

1- أنَّه يختار آية من كتاب الله عزو جل ثم يُبين مافيها من فوائدَ مختصرة، فيما يتعلق بالتوحيد والعقيدة.

2- منهجه في التفسير، هو نفس منهج كتابه التوحيد حيث يذكر الآيات ثم يُتبعها بالمسائل، التي هي فوائد واستباطات.

3- المسائل التي يذكرها بشكلٍ موجزٍ، وإشاراتٍ سريعةٍ دونَ الخوض في التفاصيل.

[1] حسين بن أبي بكر بن غنام، *تاريخ ابن غنام*، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، الرياض 2010، 1\208.

4- هذه المسائل التي يذكُرها في الآيات المختارة تَكْثُر وتقصر حَسَبَ الآيات، فقد يذكر أحياناً مسألتين، أو ثلاث وأحياناً يصل إلى خمسين مسألة، أو إلى مئة مسألة كما في قصة موسى مع الخضر.

5- التركيزُ على الآيات التي تذكر التوحيد وتنهى عن الشرك.

6- اعتماده أيضاً على معرفة أسباب النزول.

7- استدلالهُ بالشعرِ وباللغة، وذكر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (الفاتحة 5/1)، فقال: "وأنه سبحانه من فضله وكرمه ضمن إجابة هذا الدعاء إذا دعاه بإخلاص وحضور قلب تبين له ما أضاع أكثر الناس.

قد هيئوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل".[1]

8- قد يُسأل عن معنى آية ويفسرها،"سئل رحمه الله عن معنى هذه الآية: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرتَنِي أَعمى وَقَد كُنتُ بَصيرًا﴾ طه: 125، فأجاب: اعلم رحمك الله"[2]...

9- يُكثرُ من تفسيرِ القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسُنَّة، كما في تفسيره قوله تعالى: "﴿اهبِطا مِنها جَميعًا بَعضُكُم لِبَعضٍ عَدُوٌّ فَإِمّا يَأتِيَنَّكُم مِنّي هُدًى﴾ (طه 125/20)، إني مرسل إليكم هدى من عندي، لا أكَلِكُم إلى رأيكم ولا رأي علمائكم، بل أنزل إليكم العلم

[1] محمد بن عبد الوهاب التميمي، *تفسير آيات من القرآن الكريم*، المركز الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، ص8-9.

[2] المصدر السابق، ص256.

الواضح الذي يبين الحق من الباطل، والصحيح من الفاسد والنافع من الضار ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء 165/4)". [1]

10- ذكره للقراءات، فأحياناً يستشهد بها.

المآخذ على تفسيره:

1-يجد المتتبع لتفسيره أنَّ فيه حِدْةً كبيرةً مع مُخالفيه، أو حتى مع المنحرفين، ربما لطبيعة نشأته، أو لطبيعة البيئة التي عاش بها.

2-الاختصار الشديد للعبارات التفسيرية، مما يستدعي شرح هذه العبارات، وهذا الذي جرى، فقد شُرح هذا التفسير من قبل الكثير من أهل العلم.

3-بساطة العبارة التفسيرية وسطحيتها أحياناً.

4-أخذه واقتباسه في كثير من المواضع من تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

المطلب الثاني: (تفسير آياتٍ من القرآن الكريم).

تفسيرٌ مُهمّ يُجسد بدايةَ نهضةٍ علميةٍ فكريةٍ لحركةٍ دعويةٍ أصوليةٍ، كانَ من أهم مبادئها الرجوعُ إلى جوهرِ الدينِ، ونبذِ العاداتِ والخُرافات المناقضة لهذا الدين الحنيف.

وقد اجتهد مؤلفه على قَدَر استطاعته، وعلى قَدَر ما كانَ يَشوب تلك المنطقة من العالم الإسلامي من صِراعٍ وتفككٍ وانعزالٍ فكريٍ وحضاريٍ استمر لقرونٍ، وقد جُمع هذا التفسير من مخطوطتين الأولى بعنوان (استنباط القرآن)

[1] محمد بن عبد الوهاب التميمي، *تفسير آيات من القرآن الكريم*، المركز الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، ص258.

ومخطوطةٍ أخرى أيضاً قد استُعين بها، إضافة إلى هاتين المخطوطتين الكاملتين، استُعين بإجزاءٍ من مخطوطاتٍ أخرى ورد فيها شيء من التفسير، ولنأخذ البسملة نموذجاً مصغراً لتفسيره.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ "أما البسملة فمعناها أدخل في هذا الأمر من قراءةٍ أو دعاءٍ أو غير ذلك ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، لا بحولي ولا بقوتي، بل أفعل هذا الأمر مستعيناً بالله، متبرّكاً باسمه تبارك وتعالى، هذا في كل أمرٍ تُسمي في أوله من أمر دينٍ أو دنيا، فإذا أحضرت في نفسك أنَّ دخولك في القراءة بالله مستعيناً به، متبرئاً من الحول والقوة كان هذا أكبر الأسباب في حضور القلب، وطرد الموانع من كلِّ خير".[1]

"﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، اسمان مشتقان من الرحمة أحدهما أبلغ من الآخر، مثل العلّام العليم، قال ابن عباس: هما إسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، أي أكثر من الآخر رحمة".[2]

وقيل هما"اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم... قال أبو علي الفارسي: الرحمن: اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى، والرحيم إنَّما هو في جهة المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب 43/33)، وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر، أي أكثر رحمة".[3]

وهكذا ترى شدة أخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تفسير ابن كثير، فترى استخدام نفس العبارة تقريباً، وهذا ينطبق على غالب تفسيره، لسهولة عبارته.

---

[1] محمد بن عبد الوهاب التميمي، *تفسير آيات من القرآن الكريم*، المركز الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة، ص9.

[2] التميمي، *تفسير آيات من القرآن الكريم*، ص10.

[3] إسماعيل بن عمر بن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، دار ابن حزم، بيروت 2000، 1\65.

المبحث الثاني: مرحلة النضوج والعلمية.

لقد بدأت هذه المرحلة بكوكبة من العلماء في التفسير وفي الأقسام الشرعية الأخرى، عندما بدأت نسمات الاستقرار السياسي عام 1902م تهب على نَجْد في بداية تكوين الدولة السعودية الثالثة، فكان هؤلاء العلماء ثمرات من سبقهم ووطأ لهم، إلى أن تم هذا الاستقرار السياسي والاقتصادي في بداية تأسيس المملكة العربية السعودية وما بعدها بسنوات، حتى ظهرت ونضجت وبانت للعيان نتاج هؤلاء العلماء في التفسير، وقد كان من أبرز هؤلاء ابن السعدي الذي تناولت سيرته ومنهجه، في النصف الثاني من بحثي هذا، بأربعة فصول، لكني سوف أبحث بشيء من الاختصار نموذجين جليلين من هذه المدرسة، وهناك غيرهم كثير ممن كان له بصمة واضحة في هذا العلم الجليل، كمثل الشيخ ابن باز، والشيخ عبد الرحمن العجلان، ولكني آثرت الاختصار، بمثالين:

المطلب الأول: صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم/الشيخ عبد الرحمن الدوسري.

تفسيرٌ عظيمُ الفائدة، كبير النفع والحجم، اجتهد مؤلفه في بيان الأحكام العقائدية والفقهية، والقواعد الأُصولية، وأحاطه بعاطفةٍ دينيةٍ صادقةٍ، وفؤادٍ محترقٍ على واقع الأمة وما آلت إليه، مع فهمٍ للتاريخ الإسلامي بدقةٍ متناهية، وإبرازها للقارئ.

وقد بدأه من أول الفاتحة وكان يتوقع أن يَبلُغ سورة النّاس بواحدٍ وعشرينَ مجلداً، لكن وافته المنيّة بعد أن وصَلَ إلى نهاية سورة المائدة بسبع مجلدات، وهذا التفسير هو امتداد لتفاسير

ظهرت بنفس الفترة الزمنية تقريباً، كتفسير المنار، وتفسير الظلال، الذي يَنظُر للنص القرآني بمنظور الفاحص الدقيق، والأديب الرقيق، وهو يرى تكالُب الأمم على هذه الأمة،

نسبه ومولده.

"هو عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله بن فهد آل نادر الدوسري، نَزَحَ جَدّهُ عبد الله بن فهد آل نادر عن قومه وبلاده إلى بلدة الشماسية من مقاطعة القصيم".[1]

"ولِدَ في البحرين سنة 1332هـ (1914م) وذلك أنَّ جده لأمه (الشيخ علي بن سليمان اليحيى) كان يُقيم في البحرين...وقد ولِدَ الشيخ عبد الرحمن في البحرين أثناء زيارة والديه لجده لأمه، وعادَ به أبوه مع أمه إلى الكويت في أشهره الأولى".[2]

منهجه في التفسير.

ويتضح لنا أن منهجه في التفسير يرتكز على:

1- الارتكاز على العقيدة، حتى أصبحت هي المحور الذي يدور عليه تفسيره كلُّه:

"وهو إذا لم يقدر الله حق قدره فكيف إذا انضم إلى تفريطه اعتقاد شيء من المباديء العصرية السالفة الذكر، أو اعتقاد عدم جدوى الشريعة في حل المشاكل... فإنه خارج من عبودية ربه إلى عبودية من انصاع إليه وتقبل أفكاره".[3]

---

[1] سليمان بن ناصر الطيار، *سيرة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن محمد الدوسري*، دار ابن الأثير، الرياض 2014، ص41.

[2] المصدر السابق، ص44.

[3] عبد الرحمن بن محمد الدوسري، *صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم*، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض 2004، 1\75-76.

2- **مناقشة وتفنيد الانحرافات العقائدية والسلوكية التي ابتُليت بها الأمة:** وما جرَّته من ويلاتٍ ونكبات، وهذا مبثوث في غالب تفسيره، وقد بالغ في التكرار والإعادة لنفس المسميات والحركات.

3- **تَمْحيص التاريخ، وغَرْبَلت ما دُسَّ فيه، بما لايوافق ثوابت العقل والنقل.**

4- **الابتعاد عن الإسرائيليات:** وعدم قبولها في تفسير كلام الله تعالى،"إنهم لم يدخلوا الباب سجداً كما أمرهم الله، بل دخلوه زاحفين على أستاههم قائلين: حبة في شعيرة. أو: حنطة. يقصدون بهذا أنهم يريدون الأكل، وهذا القول يؤيده أثر صحيح، وإلا فللمفسرين أقاويل أخرى مستمدة من الإسرائيليات التي ينبغي تطهير التفاسير منها".[1]

5- **اتباع الأسلوب العلمي المنهجي والتحليل الموضوعي:** ثم الإتيان بالأدلة لإثبات ما توصل إليه.

6- **إعتماده على منهج السَلَفْ في تفسير آيات الأسماء والصفات:** كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، "وعلى القارئ أن يعلم أنَّه من الأصول المتفق عليها عند سلف الأمة وأئمتها المعتبرين، الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكامه، فيؤمنون مثلاً بأنَّه رحمن رحيم ذو الرحمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم، بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل".[2]

---

[1] عبد الرحمن بن محمد الدوسري، *صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم*، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض 2004، 2\154.

[2] المصدر السابق، 1\45.

7- **إعتماده على تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسُنَّة:** في تفسير كتاب الله تعالى، فكان ذو معرفة بعلم الحديث، وأسانيده.

8- **إعتماده على الإعجاز العلمي والطبي في تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم:** كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الرَّحِيمِ﴾،"الذي اقتضت رحمته وحكمته أن يجعل ماء العين مالحاً؛ ليحفظ شحمهما من الذوبان، وجعل ماء الأذن مرُّاً؛ ليمنع الذباب وسائر الحشرات من الولوج فيها لصعوبة خروجه منها...".[1]

9- **إستعماله لأوجه القراءات المعتبرة:** والإشارة إلى الشاذة منها، كما في تفسيره لقوله تعالى: "وقد قرىء ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، بوجوه كثيرة، إلا أنَّها شاذة، وهي على طريقة الاتساع وبها يجري الظرف مجرى المفعول به فيكون معناه على الظرفية أي: الملك في الدين. ويجوز أن يكون المعنى: (ملك الأمور يوم الدين) فيكون فيه حذف، أمَّا على القراءة المشهورة عند عاصم والكسائي وغيره فتقديرها: (مالك الأمر يوم الدين)".[2]

10-**اعتناءه باللغة والشعر:** فكثيراً ما يستشهد به، كما في تفسير قوله تعالى: "ومن ابتعد عن الخير المألوف بفسقه أو فجوره وكان ساعياً أو مرغّباً بضده فهو شيطان مهما كان جنسه وصفته، قال(سيبويه): العرب تقول: تشيطن فلان: إذا فعل فعل الشيطان، ولهذا يسمى شيطاناً كل من تمرد من جني وإنسي وحيوان".[3]

---

[1] عبد الرحمن بن محمد الدوسري، *صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم*، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض 2004، 1\50.

[2] المصدر السابق، 1\53.

[3] المصدر السابق، 1\28.

المآخذ على تفسيره:

1-الاستطرادات الكثيرة والطويلة، والتفصيلات الدقيقة، التي ليس محلها التفسير، فقد يتوسع في التفاصيل والتحليلات التي أخذت حيزاً كبيراً من تفسيره.

2-تكراره لبعض المفاهيم والأمراض التي ابتليت بها الأمة، وهذا التكرار أثقل هذا التفسير لمعانٍ مكررة.

3-تكراره لمصطلح (الملة الإبراهيمية، والشريعة المحمدية)؟

4-تكراره لأسماء التيارات والحركات والأحزاب والأفكار، التي ليس مكانها التفسير، كالماسونية والعلمانية...؟

نماذج من تفسيره.

قال تعالى: ﴿الم ۞ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة 2/1-2). "﴿الم﴾، فهي من إعجاز القرآن المجيد، كما ذكره العلامة ابن القيم في كتابه (بدائع الفوائد)[1] ونبهنا إلى أرقام حسابية في كل سورة

[1] وتأمل سر ﴿الم﴾، كيف اشتملت على هذه الأحرف الثلاثة، فالألف إذا بُدئ بها أولاً كانت همزة، وهي أول والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم، وهذه الثلاثة هي أصول مخارج الحروف أعني: الحلق، واللسان، والشفتين، وترتبت في التنزيل من البداية إلى الوسط إلى النهاية...وكل سورة استُفتحت بهذه الأحرف الثلاثة، فهي مشتملة على بدء الخلق ونهايته وتوسطه. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة 1425، 3\1119-1120.

ابتدأها الله بحروف مقطعة، مما قرره بعض الدكاترة العلميين في هذاالزمان، وحَسَبه بعضهم فتحاً فُتح عليه، وهو في الحقيقة مسبوق منذ قرونٍ بعيدة إلى مثله".[1]

ثم ذكر ما قاله ابن الجوزي في تفسيره "أنَّها معروفة وقت نزول الوحي عند العرب، ولذلك لم يشغبوا بها ولم يسنكروها، مع شدّة جدالهم في القرآن"[2] وهذه الحروف المقطعة في أوائل السور.[3]

"﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾، أي: ذلك الكتاب الذي أنزلناه على محمد ﷺ. ﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾، لا يعتريه الشك أبداً من كل مُنصف سَلِمَ قلبه من الضغائن والشبهات".[4]

وهذا الكتاب المعرف ب(ال) التعريف كأنَّه هو الكتاب الحقيقي الذي جمع كل صفات الكتاب، والذي به الهداية الحقيقية، هداية الدنيا والآخرة. "وليس المراد هنا نوعاً من أنواع الكتب بل المراد كتاب معروف معهود للنبي ﷺ بوصفه".[5]

"فهو كتاب مبارك ﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾، فمن الضروري إنحصار الهداية العامة فيه، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، حاذفاً المتعلق، لأنَّ حذف المتعلق يُشعر بالتعميم، كما

---

[1] عبد الرحمن بن محمد الدوسري، *صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم*، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض 2004، 2\5.

[2] المصدر السابق، 2\5.

[3] فريق حاول تأويلها والبحث عن المعاني المرتبطة بها، أو المعاني المرتبطة بالسور التي فيها الحروف المقطعة، وهم على فريقين أيضاً:
قسم أوَّل هذه الأحرف بطريقة عقلانية تَسْتَند على معاني شرعية، ومنهم ابن القيم، والدوسري كما أسلفنا.
قسم أوَّل هذه الأحرف بطريقة باطنية، أقرب إلى السحر والشعوذة منها إلى التفسير.
وفريق توقف عن تأويلها، وقالوا إنَّها مما أختص الله بعلمه.

[4] عبد الرحمن بن محمد الدوسري، *صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم*، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض 2004، 2\6.

[5] محمد رشيد رضا، *تفسير القرآن الحكيم (المنار)*، دار المنار، القاهرة 1947، 1\123.

قــرره الأصــوليون، فــالله العلــيم الحكــيم قــرر هــدى القــرآن، دون أن يَقْصُــر هدايتــه علــى ناحيــة مــن نــواحي الحيــاة، بــل جعــل تلــك الهدايــة شــاملة لجميــع شــئون الحيــاة: السياســية والثقافيــة والإقتصــادية والإجتماعية والحربية والسلمية".[1]

فلهــذا تجــد الشــيخ الدوســري دائــم الإشــارة والتنويــه علــى أنَّ القــرآن هدايــة للنّــاس في شــؤونهم الدينيــة والدنيويــة، وأنَّ الهدايــة مُنْحَصــرة فيــه لمــا اشــتمل علــى معــانٍ عظيمــةٍ جليلــةٍ يُــدرك معانيهــا من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً.

المطلب الثاني: تفسير القرآن الكريم/ للشيخ محمد صالح العثيمين.

وهــو تفســيرٌ عظــيم لإمــام مــن أئمــة العلــم والــدين، حيــث عَقَــدَ دروســاً كثــيرةً في تفســير القــرآن الكــريم طــوال خمســين عامــاً، فابتــدأ مجموعــة مــن طلابــه في حياتــه وبعــد مماتــه علــى تفريــغ أشــرطة تلك الدروس العلمية المتعلقة بتفسير كتاب الله تعالى.

فقد كانَ الشيخُ موسوعيَّ المعرفة، دَرَسَ عُلومَ الشريعة وتفقّه فيها، وكانَ لها الأثرُ الواضحُ في تفسيره. وقد بدأ تفسيره بمقدمةٍ رائعةٍ في علوم القرآن، من نزول القرآن، والمكي والمدني، ومعنى التفسير، والمحكم والمتشابه، والقسم، والقصص، وغيرها من أقسام علوم القرآن.

نسبه ومولده

"هــو أبــو عبــد الله، مُحمــد بــن صــالح بــن ســليمان بــن عبــد الــرحمن بــن عثمــان بــن عبــد الله بــن عبــد الــرحمن بــن أحمــد بــن مُقبــل مــن آل مقبــل مــن آل ريّــس الــوهيبي التميمــي، وجــده الرابــع عثمــان

[1] عبد الرحمن بن محمد الدوسري، *صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم*، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض 2004، 2\6.

أُطلق عليه عثيمين فاشتهر به...

ولِد شيخنا رحمه الله في مدينة عُنيزة، إحدى مدن القصيم عام 1347هـ (1929م) في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك، ولعلها ليلة مباركة وافقت ليلة القدر في عائلة معروفة بالدين والاستقامة".[1]

منهجه في التفسير:

1-اعتماده على تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة، وجمع نظائر الآية، وأسباب النزول، وذِكرِ القراءات: كما في تفسير قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (البقرة 162/2)، "قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، أي لا يمهلون؛ بل يؤاخذون بالعقاب؛ من حين ما يموتون وهم في العذاب؛ ويحتمل أنَّ المراد لا ينظرون بالعين؛ فلا ينظرون نظر رحمة، وعناية بهم؛ وهذا قد يؤيده بقوله تعالى: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون 108/23)".[2]

2- الشيخُ حريصٌ كلَّ الحرصِ على البعدِ عن الإسرائيليات: وعدمِ الاعتماد عليها.

3- التفصيلُ في أحكام القرآن: وبيانُ الراجحِ منها بالدليل، دونَ التعصب لمذهبٍ معين، فقد ذكر في تفسير قوله تعالى: "﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ (البقرة 160/2): ثلاثة شروط:

---

[1] وليد بن أحمد الحسين، *الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين*، إصدارات الحكمة، بريطانيا ط1 2002، ص10.

[2] محمد بن صالح العثيمين، *تفسير القرآن الكريم*، دار ابن الجوزي، الرياض ط3 1435، 2\204.

الأول: التوبة، وهي الرجوع عما حصل بالكتمان.

الثاني: الإصلاح لما فسد بكتمانهم.

الثالث: بيان الحق غاية البيان".[1]

4- ذكرُ القضايا الفقهية المعاصرة المرتبطة بالآية: وقد ذكر في تفسيره للآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة 159/2)، "دفع الفتوى- وهو أن يحوِّل المستفتي إلى غيره، فيقول: اسأل فلاناً أو أسأل العلماء – اختلف فيها أهل العلم: هل يجوز، أو لا يجوز؟ أمَّا إن كان الأمر واضحاً فإنه لا يجوز؛ لأنه يضيع الناس لا سيما إذا كان الإنسان يرى أنه إذا دفعها استُفتي أناس جهال يضلون الناس؛ فإنه هنا تتعين عليه الفتوى".[2]

5- تنزيلُ الآيات على الواقع المعاصر: وربطها به، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ (البقرة 42/2)، "إذا علمت أنَّ الرجل يتتبع الرخص، فيأتي يسألك يقول: سألت فلاناً، وقال: هذا حرام، وأنت تعرف أن المسؤول رجل عالم ليس جاهل: فحينئذٍ لك أن تمتنع عن إفتاءه".[3]

6- الاهتمامُ بالجانبِ التربويّ الذي تُشير اليهِ الآيات: وهذا كثيرٌ جداً في استدلالاته على الآيات.

---

[1] محمد بن صالح العثيمين، *تفسير القرآن الكريم*، دار ابن الجوزي، الرياض ط3 1435، 2\198.

[2] المصدر السابق، 2\194.

[3] المصدر السابق، 1\155.

7- الاهتمام الكبير بالجانب اللغويّ: فقد كانَ الشيخ بحراً في اللغة، ويولي عناية كبيرة بالجانبِ اللغويّ للآية، فيبرز معنى الآية من خلال وقفات إعرابية، أو صرفية، أو بلاغية، كما تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة 32/2)، " قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا﴾: وقعت جواباً للطلب، وهو قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبَا﴾؛ فالفاء هنا للسببية؛ والفعل بعدها منصوب ب(أن) مضمرة بعد فاء السببية؛ وقيل: إن الفعل منصوب بنفس الفاء؛ القول الأول للبصريين، والثاني للكوفيين".[1]

8- استنباطه للفوائد من الآيات: فقد كان يُفرد للفوائد من كلامه عقَب كل آية، وقد يتوسع في ذكر الفوائد المباشرة وغير المباشرة للآية.

9- إستشاهده بالشعر، كشواهد لغوية، أو ضوابط نحوية.

10- الغالب أنَّه لا يذكر المصادر التي نقل عنها: ولا أسماء العلماء الذين يذكر أقوالهم، بل تراه يُبْهِمُ أسماءهم، بل حتى في القراءات يذكر القراءة، ولا يذكر اسم القارىء، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَولُنَا لِشَيءٍ إِذا أَرَدناهُ أَن نَقولَ لَهُ كُن فَيَكونُ﴾ (النحل 40/16)، "وفي قوله تعالى: ﴿فَيَكونُ﴾، قراءتان؛ هما النصب، وارفع؛ فعلى قراءة النصب تكون جواباً للأمر: ﴿كُن﴾، أي فبسبب ذلك يكون؛ وتكون الفاء للسببية؛ وعلى قراءة الرفع تكون للاستئناف، أي فهو يكون".[2]

---

[1] محمد بن صالح العثيمين، *تفسير القرآن الكريم*، دار ابن الجوزي، الرياض ط3 1435، 1\129.

[2] المصدر السابق، 2\17.

11- يُكثر في تفسيره من التساؤلات والأجوبة لها: كما في ذكره للجنَّة التي هبط منها آدم عليه السلام هل هي جنَّة الخلد؟ فقال: " فإن قيل: كيف يكون القول الصحيح أنَّها جنَّة الخلد مع أن من دخلها لا يخرج منها، وهذه أُخرج منها آدم؟

فالجواب: أن جنة الخلد لا يخرج منها بعد البعث؛ وفي هذا يقول ابن القيم في الميمية المشهورة:

فحيَّ على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيم".[1]

المآخذ على تفسيره:

1-عدم ذكره للرجال الذين أخذ عنهم، ولا للقراءات القرآنية التي يستدل بها.

2-أحياناً يبالغ في المعاني اللغوية والإعرابية والبلاغية بشكل يُثقل القارئ.

نماذج من تفسيره:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (آل عمران 2/3). "وقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، هذه جملة مكونة من مبتدأ وخبر. ف ﴿اللَّهُ﴾، مبتدأ، وجملة ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، خبر المبتدأ. وجملة الخبر تُسمّى عند النحويين جملة صغرى؛ لأنَّ الخبر إذا وقع جملة فهو جملة صغرى، والجملة الكبرى هي مجموع المبتدأ وجملة الخبر.

[1] محمد بن صالح العثيمين، *تفسير القرآن الكريم*، دار ابن الجوزي، الرياض ط3 1435، 1\128.

وقولـــه: ﴿الْحَـــيُّ الْقَيُّـــومُ﴾، خـــبران آخـــران؛ ﴿الْحَـــيُّ﴾، خـــبر ل ﴿اللَّهُ﴾، ثان، و﴿الْقَيُّـــومُ﴾، خـــبر ثالـــث، و﴿اللَّهُ﴾، عَلَـــم علـــى الـــذات المقدســـة، وعَلَـــم علـــى الـــربّ عزوجـــل، وأصـــله الإلـــه بمعـــنى المـــألوه، وحُـــذفت الهمـــزة تخفيفـــاً كمـــا حُـــذفت الهمـــزة من(خير)و(شـــر) في مثـــل قـــول الرســـول ﷺ: «خَـــيْرُ صُـــفُوفِ الرِّجـــالِ أَوَّلُهـــا، وشَـــرُّها آخِرُهـــا، وخَـــيْرُ صُـــفُوفِ النِّســـاءِ آخِرُهـــا، وشَـــرُّها أَوَّلُهـــا»[1] أي: أخيرها وأشرها، وكما حذفت الهمزة من (الناس)، وأصلها أناس".[2]

ذكـــر ابـــن عثيمـــين في تفســـيره للآيـــة الكريمـــة، ووضـــح الجانـــب اللغـــوي والبلاغـــي في بدايـــة كـــل آيـــة، ثم يـــذكر مـــا تشـــير إليـــه ومـــا دلّـــت عليـــه، ثم ذكـــر أصـــل كلمـــة (إلـــه) واستشـــهد علـــى ذلـــك بشواهد من السُنَّة.

"وهو أعرف المعارف على الإطلاق. ومعناه: المعبود حباً وتعظيماً، فهو فِعال بمعنى مفعول...

وقوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: أي لا معبود حق إلا هو...".[3]

"وقولـــه: ﴿الْحَـــيُّ﴾، ﴿ال﴾، هنـــا للاســـتغراق، أي كامـــل الحيـــاة، وحيـــاة الله عزوجـــل كاملـــة في وجودهـــا، وكاملـــة في زمنهـــا، فهـــو حـــي لا أول لـــه، ولا نهايـــة لـــه، حياتـــه لم تُســـبق بعـــدم، ولا يلحقُهـــا زوال، وهـــي أيضـــاً كاملـــةً حـــال وجودهـــا، لا يـــدخلها نقـــصٌ بوجـــهٍ مـــن الوجـــوه، فهـــو كامـــل في سمعـــه وعلمـــه وقدرتـــه وجميـــع صـــفاته، إذا رأينـــا الآدمـــي بـــل إذا رأينـــا غـــير الله عزوجـــل وجـــدنا أنَّـــه ناقـــص في

[1] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح *مسلم*، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 1991، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، رقم الحديث 440 1\326.

[2] محمد بن صالح العثيمين، *تفسير القرآن الكريم*، دار ابن الجوزي، الرياض ط3 1435، آل عمران 1\5.

[3] المصدر السابق، 1\6.

حياتــه زمنــاً ووجــوداً. حياتــه مســبوقة بعــدم، ملحوقــة بــزوال وفنــاء، وهــي أيضــاً ناقصــة في وجودهــا، ليس كامل السمع ولا البصر ولا العلم ولا القدرة، فكل حي سوى الله ناقص.

وقولــه: ﴿الْقَيُّــومُ﴾، علــى وزن فيعــول، وهــو مــأخوذ مــن القيــام، ومعنــاه: القــائم بنفســه، القــائم على غيره، القائم بنفسه فلا يحتاج إلى أحد، والقائم على غيره فكل أحدٍ مُحتاجٍ إليه.

وفي الجمــع بــين الإسمــين الكــريمين ﴿الْحَــيُّ الْقَيُّــومُ﴾، اســتغراق لجميــع مــا يوصــف الله بــه بجميــع الكمــالات. ففــي ﴿الْحَــيُّ﴾، كمــال الصــفات، وفي ﴿الْقَيُّــومُ﴾، كمــال الأفعــال، وفيهمــا جميعــاً كمال الذات".[1]

ذكــر ابــن عثيمــين في تفســيره للآيــة الكريمــة، وأجــاد كعادتــه وربــط بــين المعــنى البلاغــي والمعــنى اللغــوي، وهــو فــارسٌ لا يُنــازَع في تفصــيله لبــاب الأسمــاء والصــفات، ويتضــحُ مــن تفســيره لــلآيات الســابقة، أنَّــه البحــر، غــير أنَّــه قــد يســتطرد أحيــاناً بالمعــنى اللغــويّ أو البلاغــيّ، وذلــك لأنَّــه في تفسيره يخاطبُ طلاب عِلم، ولا يخاطب عوام الناس.

[1] محمد بن صالح العثيمين، *تفسير القرآن الكريم*، دار ابن الجوزي، الرياض ط3 1435، آل عمران 1\7.

المبحث الثالث: مرحلة التطوير والإضافة العلمية المنهجية.

وتبدأ هذه المرحلة من أوائل ثمانينيات القرن العشرين، عندما ظهر جيل جديد من المفسرين، فمنهم من أضاف إلى العلوم التفسيرية الشيء الكثير فألف وصنف في ذلك، ومنهم من اعتنى بقواعد علوم القرآن وألَّف، وصنَّف، وأضاف، وأجاد في ذلك.

ومن أهم مميزات وسمات هذا الجيل من المفسرين:

1- أنَّهم من الذين تتلمذوا على يد علماء المرحلة الثانية من المدرسة النجدية في التفسير.

2- أنَّ بعضهم كان من تخصص في مادة التفسير حصراً، كالشيخ مساعد الطيار الذي سوف أذكر جانباً من نتاجه في علم التفسير، أو ممن تخصص في علوم القرآن والقواعد التفسيرية، كالشيخ فهد الرومي، الذي سوف أذكر جانباً من نتاجه في ذلك الجانب.

3- اعتماد هذا الجيل على نفس قواعد ومنهج المدرسة النجدية في التفسير، لكن كانت لهم إضافتهم التفسيرية ونَفَسَهم المختلف، الذي كان فيه من الحداثة، والفهم، والمنهجية الشيء الكثير.

المطلب الأول: تفسير (جزء عمّ) الشيخ مساعد الطيار.

بدأ تفسيره بمقدمةٍ رائعةٍ في علم التفسير، وبيَّن الفرقَ بين علوم التفسير وما هو من صلب التفسير، ثم يذكر في هذه المقدمة ما أجْمَعَ عُلماء التفسير عليه وما اختلفوا، وسبب اختلافهم، فذكر: "ولم أُدْخِل فيه العلوم التي يتطرق إليها المفسرون، ويتوسعون بذكرها، كعِلم النحو، وعِلم البلاغة، وعِلم الفقه، وغيرها، كما لم أُدْخِل فيه الفوائد والاستباطات التي هي خارجةٌ عن حد

التفسير، وبها تتمايزُ كتب التفسير في المنهج، وتطول أو تقصر بسببها، وسلكت في بيان هذا الجزء وتفسيره طريقَ المتن والحاشية، أمَّا المتنُ، فجعلته في صلب التفسير... وأمَّا الحاشية، فجعلتها للاختلاف الوارد في التفسير عن السلف، ولتوجيه أقوالهم، وبيان سبب الاختلاف، وذكر الراجح من الأقوال".[1]

وهذا التفسير هو ثمرة الجيل الذي تتلمذ ونشأ على يد كوكبة جليلة من عُلماء نَجْد، فبعد الجيل الثاني الذي واكب نشأة الدولة السعودية الثالثة، ظهر الجيل الثالث من طلاب علم التفسير.

نسبه ومولده:

" مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، من مواليد مدينة الزلفي بمنطقة نجد عام 1384هـ (1965م)".[2]

منهجه في التفسير:

1- **عدمُ إدخال علم النحو والبلاغة والفقه في تفسيره:** إنَّما كل ذلك كان في الحواشي وكانَ بقدرٍ قليل، كما ذكر في الحاشية تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح 5/94)، فقال: "هذا تفسير الفاء في قوله: ﴿فَإِنَّ﴾، وتسمى الفصيحة، وهي تدل على كلام محذوف بتكرار الجملة؛ للدلالة على أن اليسر يلحقه العسر ويغلبه".[3]

---

[1] مساعد الطيار، *تفسير جزء عمّ*، دار ابن الجوزي، الرياض ط8 1430، ص6.

[2] مساعد بن سليمان الطيار، *مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير*، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض ط2 2010-1436، 1\5.

[3] مساعد الطيار، *تفسير جزء عم*، دار ابن الجوزي، الرياض ط8 1430، ص176-177.

2- **عدمُ ذكره للفوائد التفسيرية:** التي تُعد علامةً فارقةً للمدرسة النجدية في التفسير.

3- **تقسيم تفسيره إلى متنٍ وحاشيةٍ:** فجعل المتن من صلب علم التفسير ذاكراً فيه المفْرَدات اللغوية للنص القرآني، أمَّا الحاشية فجعلها للاختلافات التفسيرية بين المفسرين، وذِكرُ الراجح من الأقوال.

4- **حرصه على الأخذ من أئمة المفسرين:** وعلى رأسهم محمد بن جرير الطبري، وابن تيمية وابن القيم وابن كثير، والطاهر بن عاشور، لكنَّه قد يناقش النص التفسيري إذا تطلب الأمر ذلك، كما في المثال التالي أنه قد ساق قول ابن القيم بتمامه فقال: "علَّق ابن القيم في كتابه (التبيان في أقسام القرآن) على ما في هاتين الآيتين من لين الخطاب، أنقله بطوله لما فيه من الفائدة. قال: (ثم أمره أن يخاطبه بألين خطاب، فيقول: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ (النازعات 79/18-19)، ففي هذا من ألطف الخطاب ولينه وجوه:

أحدها: إخراج الكلام مخرج العرض، ولم يخرجه مخرج الأمر والإلزام...".[1]

5- **تعظيمه لأقوال الصحابة، وتقديمها على مَنْ جاء بعدهم:** كما ذكر الطيار في تعليقه على ترجيح الطبري فقال: "والملاحظ أن ابن جرير... لا يميز في الغالب بين طبقات السلف الثلاث (الصحابة والتابعين وأتباعهم) في التعامل معهم وترجيح أقوالهم؛ أي: لا

[1] مساعد الطيار، *تفسير جزء عم*، دار ابن الجوزي، الرياض ط8 1430، ص42.

يقدم قول الصحابي دائماً، بل يختار عليه قول التابعي، أو تابع التابعي، وهذا المنهج يحتاج إلى دراسة".[1]

6- **تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسُنَّة:** وقد ذكر الطيار في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (الضحى 7/93) "ووجدك ضالاً عن معرفةِ الدين، فهداك إليه؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى 52/42)".[2]

7- **استعماله للقراءات القرآنية واستشهادهِ بها:** كما ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (البروج 22/85)، فقال: "ورد في ﴿مَّحْفُوظٍ﴾، قراءتان: الأولى بالرفع ﴿مَّحْفُوظٌ﴾، وتكون صفة للقرآن، والثانية بالخفض ﴿مَّحْفُوظٍ﴾، وتكون صفة للوح، ومؤدَّى القراءتين: أنَّ القرآن محفوظ في اللوح المحفوظ".[3]

8- **استخدامه الشواهد الشعرية في اللغة:** كما ذكر الطيار في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ (البروج 21/85)، قال: "يسمى المباشر للدفن قابر، والآمر به مُقبر؛ فتقول: أقبره الله، وقبره فلان، كما قال الأعشى:

لو أُ سند ميت إلى صدرها لعاش ولم ينقل إلى قابرِ

---

[1] مساعد الطيار، *تفسير جزء عمّ*، دار ابن الجوزي، الرياض ط8، 1430، ص32.

[2] المصدر السابق، ص171.

[3] المصدر السابق، ص112.

أي: إلى دافن يدفنه في قبره".[1]

9- **قد يذكر أسباب النزول لبعض السور**: بما تدعو إليه الحاجة التفسيرية، فقد "ثبت في الصحيحين عن جندب بن عبد الله البجلي، قال: دميت أصبع رسول الله ﷺ، فاشتكى، ...في سبب نزول سورة الضحى".[2]

10-**يناقش تفسيرات السلف ويبدي ملاحظاته عليها**: ويُفَرّق مادلَّ عليه اللفظ، وما دلَّ عليه الإشارة والقياس، كما ذكر الطيار في تفسيره لسورة التين، اختلاف ابن عباس وعكرمة رضي الله عنهم بمعنى كلمة ﴿الدِّينِ﴾، وترجيح الطبري فقال:

"الأول: الحساب، وذلك عن عكرمة...

الثاني: حكم الله: عن ابن عباس...

ومما يلاحظ في ترجيح الطبري أمران:

الأول: أنَّه رجَّح قول التابعي تلميذ ابن عباس على قول شيخه الصحابي ابن عباس، وهذا يشعر بأن الطبري يجعل مفسري السلف في التفسير في طبقة واحدة عند الترجيح...".[3]

---

[1] مساعد الطيار، *تفسير جزء عمّ*، دار ابن الجوزي، الرياض ط8، 1430، ص55.

[2] المصدر السابق، ص169.

[3] المصدر السابق، ص187.

نماذج من تفسيره:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۞ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ (النبأ 1/78-2). "قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾؛ أي: عن أي شيء يسأل كفار مكة بعضهم بعضاً".[1]

وقد ذكر الطيارُ في تفسيره لهذه الآية الكريمة، أنَّ الذي طلب الاستفهام الاستنكاري هم المكذبون الكفار،"ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنَّه قال: عن أي شأن يتسألون...يسأل بعضهم بعضاً، أو يتسألون غيرهم من رسول الله والمؤمنين".[2]

"قوله تعالى: ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾؛ أي: يتسألون عن الخبر العظيم الذي استطار أمره بينهم، وهو القرآن، ويُحتمل أن يكون البعث، ثم ذكر في الحاشية: يشهد لمن قال: القرآن، وهو مجاهد، أنَّ الاختلاف وقع فيه بين كفّار مكة، فوصفوه بأنَّه شعر، وكهانة، وكذب وغيرها، وهو أعم من القول الثاني؛ لأنَّ البعث جزءٌ من أخبار القرآن الذي وقع فيه الاختلاف".[3]

وهذا التفخيم مع الاستفهام استنكاري ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾، دليل على عِظَمِ المسؤول عنه، وقد ذكره الله تعالى بإنَّه ﴿الْعَظِيمِ﴾، وإذا كان العظيم جل جلاله قد وصَفَه بالعظيم، فتعظيمه على قدر وصفه جل جلاله، وقد ذكر الشيخ الطيار تفسيرين لمعنى ﴿النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾: البعث والقرآن، وهو الراجح عنده لأنَّ البعث جزء مما أخبرَ به القرآن.

---

[1] مساعد الطيار، *تفسير جزء عمّ*، دار ابن الجوزي، الرياض ط8، 1430، ص21.

[2] محمود بن عمر الزمخشري، *الكشاف*، مكتبة مصطفى البابي وأولاده، القاهرة 1966، 4\206.

[3] مساعد الطيار، *تفسير جزء عمّ*، دار ابن الجوزي، الرياض ط8 1430، ص21.

المطلب الثاني: نماذج ممن تخصص في قواعد التفسير.

أولاً: فهد بن عبد الرحمن الرّومي.

أكاديميٌ، وباحثٌ، ومؤلفٌ، في تفسير القرآن وعلومه، له نشاطٌ واسعٌ في مجال التعليم الأكاديمي، إضافة إلى رئاسته قسم الدراسات القرآنية في كلية المعلمين بالرياض، وشارك في مناقشة عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه، وتحقيق عدد من التفاسير، إضافة إلى مشاركته في الكثير من المؤتمرات والندوات العلمية في العالم الإسلامي، وقد كانت مؤلفاته بثلاثة اتجاهات:

1- **التفسير في المغرب العربي والأندلس:** فكان من المشرقيين القلائل الذين أسهموا في نقد وإبراز علم التفسير في المغرب العربي والأندلس، ومن مؤلفاته:

- التفسير الفقهي في القيروان في القرن الخامس الهجري.
- قول الصحابي في التفسير الأندلسي حتى القرن السادس.
- مسألة خَلْق القرآن وموقف علماء القيروان منها.
- منهج المدرسة الأندلسية في التفسير صفاته وخصائصه.

2- **قواعد ومناهج التفسير:** فكان له العديد من الكتب والبحوث في هذا الجانب وقد أبدع فيه، فكان من المحْدَثين الذين اعتنوا في هذا الجانب من التفسير، ومن مؤلفاته:

- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير.
- تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في انحراف التفسير.

- خصائص القرآن الكريم.
- دراسات في علوم القرآن الكريم.
- المغني في أصول التفسير ومناهجه.

3- **تحقيق بعض التفاسير المندثرة والتي لم تنل نصيبها في النشر**: فكان له بصمة واضحة في التحقيق والتعليق على هذه التفاسير، ومن تحقيقاته:

- تفسير الفاتحة المختصر للشيخ محمد بن عبد الوهاب (تحقيق وتعليق).
- تفسير سورة الفلق (تحقيق).
- تفسير سورة الناس (تحقيق).
- قصيدة الواعظ الأندلسي (تحقيق).
- كتاب فضائل القرآن لمحمد بن عبد الوهاب (تحقيق).

ثانياً: عبد الرحمن بن معاضة الشهري.

وهو المشرف العام على مركز تفسير للدراسات القرآنية[1]، إضافة إلى تدريسه في أكثر من جامعة في مادة التفسير والعلوم القرآنية، أمَّا نتاجه العلمي في مجال التفسير، فقد أجاد وأبدع، ومن مؤلفاته:

- تحقيق تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، بالتعاون مع فريق علمي.
- جهود ابن فارس في التفسير وعلوم القرآن (رسالة الماجستير).

[1] مركز بحوث ودراسات، متخصص في الدراسات القرآنية، وفي المجالات العلمية والتعليمية والإعلامية.

- الشـــاهد الشِـــعْري في تفســـير القـــرآن الكـــريم، أهميتـــه وأثـــره ومنـــاهج المفســـرين في الاستشـــهاد به (رسالة الدكتوراه).
- الإمام البيضاوي وتفسيره.

إضـــافةً إلى العديـــدِ مـــن الكتـــبِ والبحـــوثِ في مجـــال تفســـير القـــرآن الكـــريم وعلومـــه، وكـــذلك مشـــاركته في الكثير من البرامج التفسيرية سواء التلفزيونية أو لطلاب العلم خاصة.

ثالثاً: محمد بن عبد العزيز الخضيري.

فبعـــد حصـــوله علـــى الـــدكتوراه مـــن قســـم القـــرآن وعلومـــه، تم تعيينـــه أســـتاذاً مســـاعداً بقســـم الدراســـات القرآنيـــة بجامعـــة الملـــك ســـعود، ولـــه الكثـــير مـــن البحـــوث والمصـــنفات الـــتي تخـــتص بعلـــم التفسير، ومنها:

- السراج في بيان غريب القرآن.
- الرَّكيزة في أصول التفسير.
- الإجْماع في التفسير.
- وقفات مع آيات الجهاد.

(خاتمة الفصل)

لقد ذكرت في هذا الفصل، أعلام المدرسة النجدية في التفسير، وأنَّها مرت بثلاث مراحل رئيسة، فمن مرحلة التأسيس والبناء، متمثلة في صاحب الدعوة الإصلاحية الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد كانَ هذا التفسير يتلاءم مع تلك البيئة النجدية، وما يراه هو صالحاً لها، ويُناسِب حاجة النّاس في ذلك الزمان والمكان، وكذلك الظروف البيئية والسياسية والاقتصادية لتلك المنطقة.

وذكرت مرحلة النضوج والعلمية، لعالمين مختلفين في الطريقة والأسلوب، ومتوافقين في المنهج العام، فالشيخ عبد الرحمن الدوسري وتفسيره صفوة الآثار والمفاهيم، فكان هذا التفسير لأديب عالم بأحوال الأمة وما أصابها من أبناء جلْدَتِها ومن غير أبناء جلدتها، من ركونٍ وانخداعٍ بالأفكار والاتجاهات التي كانت سائدةً في خمسينيات القرن العشرين.

وذكرت تفسير الشيخ بن عثيمين، فرأيناه كالغيث إذا انهمر، وكالقَمر إذا أبدر، فكان بحق العالم النحرير الذي جمع بين عُلوم الآلة والشريعة، ورأينا فقيها يدور مع الدليل أينما دار.

وذكرت مرحلة التطوير والإضافة المنهجية، من الذين تخصصوا في التفسير خاصة، بنموذج مساعد الطيار وتفسيره لجزء عمّ، الذي ساعدنا في فهم جديدٍ لمعاني القرآن الكريم، وطارَ بنا وحَلَّق في رحاب هذا الجزء من القرآن الذي يحفظه الصغار والكبار من أبناء هذه الأمة، وذكرت من الذين تخصصوا في قواعد التفسير، عبد الرحمن الرومي، عبد الرحمن بن معاضة الشهري، ومحمد بن عبد العزيز الخضيري بشيء من الاختصار.

الفصل الرابع

ابن السعدي وتفسيره

وهو تفسيرٌ عظيم الفائدة، لا يستغني عنه طالب العلم، ولا عوامِّ الناس، لأنَّه سهلُ العبارة، يجمع بين بيان المعنى المقصود، والغوص في أسرار التشريع بعيداً عن تعقيداتِ الألفاظ، والإسهاب في بيان الأحكام، إلا وهو (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ولقد تفحصت عنوان التفسير، فإن لعناوين الكتب عموماً، وعناوين التفاسير بشكل خاص، لها مدلولاتها، والنظر فيها يورث الكثير من الأفكار العلمية التي انقدحت في فكر المؤلِف عند تسميته لمؤَلَفه، فالمتأمل في عنوان التفسير يجد الآتي:

- **تيسير**: النظر إلى منَّة الله تعالى عليه أن يسر له كتابة التفسير، وهذا مشاهدٌ لقاريء هذا التفسير، فهو يُشعرك بكريم فضل الله عليه وعلى من يقرأ التفسير.
- **الكريم الرحمن**: نَسَبَ هذا التيسير وهذا الفضل للكريم الرحمن (قصداً)، لا (سجعاً)، وما أجملهما من اسمين شريفين للرب الجليل، الذي عطاياه ورحماته لا تنقطع عن العبد.
- **في تفسير كلام المنان**: فهذه الأسماء الثلاثة الكريم، الرحمن، المنان، التي آثارها معروفة للعبد توصل إليه محبوباته، وكرمه، ومننه، ولطفه، كأنَّه يستحضر هذه المنة الكبيرة التي منَّ الله به عليها، إلا وهي تفسير كتابه الكريم.

وقد بيَّنَ ابن السعدي غرضهُ من تأليف هذا التفسير فقال: "وقد كثُرت تفاسيرُ الأئمة رَحِمَهُم الله لكتاب الله، فمن مطولٍ خارجٍ في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقصرٍ، يقتصر

على حل بعضِ الألفاظ اللغوية، بقطع النظر عن المراد. وكان الذي ينبغي أن يُجعل المعنى هو المقصود، واللفظُ وسيلة إليه".[1]

ثم قال بكلماتٍ رائعةٍ تدلُّ على تجردهِ عن حبِّ الدنيا، وتواضعه لمن سبقه من علماء أفْنَوْا أعمارهم في كتاب الله فقال: "ولما منَّ الباري عليَّ وعلى إخواني بالإشتغال بكتابه العزيز بحسبِ الحال اللائقة بنا، أحببتُ أن أرسمَ من تفسير كتاب الله ما تيسر ...ولأنَّ المفسرين قد كفوا مَنْ بعدهم، فجزاهم الله عن المسلمين خيراً. واللهَ أرجو، وعليه اعتمد، أن ييسرَ ما قصدت، ويذلل ما أردت، فإنَّه إن لم ييسره الله، فلا سبيلَ إلى حصوله، وإن لم يُعن عليه، فلا طريق إلى نيلِ العبد مأموله".[2]

المبحث الأول: ترجمة ابن السعدي

إنَّ لمعرفة تراجم الرجال من الأهمية بمكان، والتي تبين طبيعة المترجَم لهُ، وسمتُهُ، وزمنُهُ، والمؤثرات التي أثرت في حياته، وأثرت على علمه، والزمن الذي عاش فيه وطبيعته.

ولا شك في أن ابن السعدي هو واحدٌ من أولئك الرجال القدوة، الذي يُحتذى بخُلقه، وعلمه، وسمته، فسأذكر في هذا المبحث وأسلط الضوء على جانب بسيط من مراحل حياته، ومعيشته مع أهله وجيرانه، فهي ومضة ضوء، ونبذة مصغرة تعطينا انطباعاً، عن غيرها، أكثر مما هي لدراسة التفاصيل الدقيقة، والغوص فيها.

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص29-30.

[2] المصدر السابق، ص30.

المطلب الأول: نسبهُ وولادته ونشأته.

"عبدُ الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل السعدي، من بني عمرو أحد قبائل بني تميم الشهيرة... وقد وُلِدَ شيخنا المترجَم في بلدة عُنيزة في الثاني عشر من شهر محرم عام12/1/1307 (1889م) وقد توفيت والدته وله من العمر أربع سنين، وتوفي والده سنة 1313هـ (1895م) وله سبع سنين، وكان والده واعظاً وإماماً في مسجد المسوكف فكفلته زوجة والده، وأحبته أكثر من أولادها، فصار عندها موضع العناية والرعاية".[1]

لقد نشأ ابن السعدي في عصرٍ يَموج بالحروب، والاضطرابات السياسية، والأوبئة (انظر الفصل الأول)، فقد وُلِدَ أوآخر عهد دولة ابن رشيد، وأوائل شبابه كانت مع بداية الدولة السعودية الثالثة بقيادة الملك عبد العزيز آل سعود، ومن المعروف أنَّ مثل هذه البيئة لا تُشَجع على طلب العلم ولا الحثِّ عليه، بل ربما تدفعُ للصدِّ عنه، فَهَمُّ أغلبِ الناس محصورٌ في لقمة العيش، وتوفير الحد الأدنى من متطلبات الحياة الكريمة.

وإذا أدركنا هذه الحقيقة، وتَصورنا ذلك العَصر والعقبات التي صادفت الشيخ، نُدرك أيُّ نوعٍ من الرجال كان، وأيُّ موهبةٍ أودعها الله في ذلك العالم النحرير، وأيُّ عبقريةٍ أُودعت في نفس ذلك الشيخ، فقد عاهد ونَذَرَ نَفْسه وأجمع أمره وحياته للعلم، وسكينةٌ قلَّ نظيرها في ذلك العصر، فتراه في زَمَن، والناس وأقرانه في زَمَن آخر، وترى النّاس وأقرانه همهم وطموحهم في واد، وهو في وادٍ آخر.

[1] عبد الله البسام، *علماء نجد خلال ثمانية قرون*، دار العاصمة، الرياض 1419، 3\218-219.

فنشأ وشبّ على طلب العلم وتحصيله ومزاحمة طلاب العلم في حِلق الذكر، وحِفظ كتاب الله والمتون، فَفَتحَ الله عليه من فتوحه ورحماته وبركاته، فنال من المكانة العلمية والشهُرة والتقدير بين العامّة والخاصّة، وبين بُسطاء النّاس وبين الملوك والأمراء.

المطلب الثاني: حياتهُ العلمية وشيوخه وتلاميذه.

كانت حياته جهاداً متواصلاً بالدعوةِ، والكتابةِ، والتاليفِ، وقضاءِ حوائجِ الناسِ، ونُصرةُ المظلومينَ. لقد منح هذا العالم الجليل حياتهُ للعلم والتعليم، فكانت لهُ آثار خالدة، وهي بين أيدينا نقرؤها، فنستِدلُ من خلالها على عقلية ومواهب هذا الإمام الجليل.

فقد أقبل ابن السعدي على العلم وتحصيله أقبالاً منقطع النظير، وصَرَفَ وقته وجُهده وماله له، وقد بَرَز نبوغه وتميزه في بداية طلبه للعلم، وقد بارك الله في أعوامه وأوقاته فألَّف وأنجز بوقتٍ قصيرٍ ما يعجز عنه غيره بوقتٍ طويلٍ. وعندما تقرأ له سواء في التفسير أو العلوم الشرعية الأخرى، تجده قريباً من العلم والعلماء، لاشتغاله منذ صغره إلى وفاته بالعلم وبطلبه.

تلقى الشيخ العلم والمعرفة على عددٍ غير قليلٍ من العلماء الأفذاذ الذين أخذوا العلم من مصادرَ ومشاربَ مختلفة، ومن بُلدان ومدارس متنوعة، ومن هؤلاء:

- " الشيخ علي بن محمد السناني، كانت له اليد الطولى في التفسير والحديث".[1]

[1] ولد عام 1263 في عُنيزة، ودرس ابن السعدي عليه أصول الدين، وقد آثر العزلة، فعُرض عليه القضاء مرتين فلم يقبل توفي في عنيزة عام 1339. عبد الله بن سابح الطيار، *ابن السعدي مفسراً*، دار ابن الجوزي، الرياض 1421، ص51.

- الشيخ علي بن ناصر بن وادي.[1]
- الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، وقد تلقى العِلمَ من عُلماء الشام وفي صالحية دمشق، ولازم علماء الحنابلة في نابلس.[2]
- الشيخ المؤرخ إبراهيم بن صالح بن عيسى.[3]
- الشيخ العابد المقرئ المجوّد عبد الله بن عائض، وقد تلقى العِلمَ من شيوخ كبار في مكة ومصر.[4]
- الشيخ صالح بن عثمان القاضي، رَحَلَ الشيخ صالح إلى مكة المكرمة ومصر لطلب العلم.[5]

---

[1] ولد في مدينة عُنيزة سنة 1273 ونشأ فيها، فقرأ على علمائها وهم في عهد شبابه كثيرون، ثم سافر إلى الرياض ثم إلى الهند، فانتقل في بلداتها طلباً للعلم، ثم رجع إلى بلدته عنيزة، فكان الشيخ عبد الرحمن السعدي ممن أخذ عنه الأمهات، والمسانيد، وقد توفي المترجَم في عام 1360.عبد الله البسام، *علماء نجد خلال ثمانية قرون*، دار العاصمة، الرياض 1419، 5\305.

[2] وهو أول من قرأ عليه ابن السعدي، ويصفه ابن السعدي بأنه كان يقصده الفقير في اليوم الشاتي، فيخلع أحد ثوبيه، هذا مع شدة حاجته إليه وقلة ذات اليد، ثم سافر للعراق، فجلس في الزبير حتى خرج إلى نَجْد عام 1329، وأصيب بمرض فأدركته المنية وهو بالكويت عام 1338. الطيار، *ابن السعدي مفسراً*، ص49.

[3] ولد المترجَم في بلدة أخواله أشيقر عام 1270، ونشأ نشأة صالحة من العفة والقناعة، ثم رحل إلى مدينة عُنيزة ثم إلى الزبير، ثم تحول في بلدان العراق، ثم سافر إلى الهند، ثم رجع إلى عُنيزة فعكف على التدريس والتأليف، توفي عام 1343، وصلي عليه بعد صلاة العصر في جامع عُنيزة. البسام، *علماء نجد خلال ثمانية قرون*، 1\318.

[4] ولد عام 1249 درس ابن السعدي عليه العربية ثم سافر إلى مكة، وتعلم الخط وأجاده، ثم سافر إلى مصر، وأخذ عن بعض علماء هذه الأمصار، ثم عاد إلى عُنيزة كان إماماً وواعظاً ومدرساً في مسجد الجوز أحد أحياء عُنيزة وتوفي فيها عام. المصدر السابق، 4\184.

[5] قاضي عُنيزة، درس ابن السعدي عليه التوحيد والتفسير والفقه والعربية، وكان يمتاز بالنباهة والمقدرة على تحليل السلوك، والجرأة في قول الحق والحكم به، توفي عام 1351. الطيار، *ابن السعدي مفسراً*، ص50.

يتضح مما سبق أنَّه أخَذَ العلم من مدارس مختلفة، ومن مشارب متنوعةً فقهياً وثقافياً، وأنَّ هؤلاء العلماء الذين أخذَ منهم يقتصروا على بيئة نَجْدٍ وما جاورها، فكان لهذا التنوّع أثراً كبيراً على رؤية ابن السعدي الفقهية والسلوكية.

تلاميذه:

إنَّ للعلماء أثراً طيباً في الجيل والحقبة التي كانوا فيها، وبالأجيال اللاحقة التي تأثرت بشكل مباشر أو غير مباشر بهم. فنستدل من نوعية وعدد تلاميذه، والمناصب التي تبوؤها؛ على مكانة ذلك العالم الجليل، فكان ابن السعدي من المعلمين المربين المنفَتحين والمجتهدين، ومن الذين كان له أثر كبير على تلاميذه، وما زال الكثير منهم على قيد الحياة، يروي مآثر ذلك الشيخ الجليل.

وقد تتلمذ على يدي الشيخ طلاب كثير، وغالبهم قد تَقَلَّد مناصب رفيعة في التدريس والفتيا والقضاء نذكر من أبرزهم:

- "عبد العزيز بن سبيل، عُيِّن قاضياً في البكيرية، ثم درَّس في المسجد الحرام.
- عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، عضو هيئة التمييز وعضو هيئة كبار العلماء.
- عبد الله بن محمد العوهلي، درَّس في معهد مكة العلمي.
- محمد بن صالح العثيمين، (نار على علم) عضو هيئة كبار العلماء، وقد جعلت له مطلباً خاصاً به في هذا البحث.
- محمد بن صالح الفضيلي، عُيِّن قاضياً في تيماء.

- محمد بن سليمان البسام، وقد درَّس في الحرم المكي الشريف فترة من الزمن.
- علي بن زامل آل سليم، عُيِّن أستاذاً غير متفرغ بفرع جامعة محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم".[1]

المطلب الثالث: مؤلفاته.

لقد كان الشيخ بحق موسوعة علمية، وكانت مؤلفاتهُ العلمية الكثيرة متنوعة بين الفقهِ، والتفسيرِ، والأصولِ، والعقيدةِ، والوعظِ، وغيرها، فقد كان موسوعياً له اليد الطولى في أغلب العلوم الإسلامية، فمن هذه المؤلفات:

أولاً: التفسير وعلوم القرآن.

- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** وسيجري بحث هذا التفسير العظيم لاحقاً في هذا البحث، وهو كتاب مطبوع.
- **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن:** وقد اختصره الشيخ السعدي من تفسيره تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، فهو كما ذكر في المقدمة أنَّه احتوى على خُلاصة ذلك التفسير، واكتفى ببعض الآيات التي اختارها وانتقاها من جميع مواضع علوم القرآن ومقاصده، وهو كتاب مطبوع.

[1] عبد الله محمد الطيار، *صفحات من حياة علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي*، دار ابن الجوزي، الرياض ط1 1413، ص61-62، بتصرف.

- **المواهب الربانية من الآيات القرآنية:** وهي رسالة صغيرة ذكر فيه فوائد بعض الآيات من القرآن الكريم قد فتح الله عليه في شهر رمضان المبارك، وهو كتاب مطبوع.
- **القواعد الحسان لتفسير القرآن:** فقد أصَّل في هذا الكتاب لقواعد التفسير، وذكر سبعين قاعدةٍ من أصول التفسير وعلوم القرآن، تُعين على فهم كتاب الله عزوجل، وهو كتاب مطبوع.
- **فوائد مُسْتنبطة من قصة يوسف عليه السلام:** فذكر في هذا الكتاب الجميل فوائد وعِبَر مستنبطة من هذه القصة العظيمة، وهو كتاب مطبوع.

ثانياً: العقيدة.

- **مختصر في أصول العقائد الدينية:** فهو من اسمه مختصر، قد ذكر فية أهم مسائل العقيدة، يذكرها دون تفصيلٍ للأدلة، وهو كتاب مطبوع.
- **القول السديد في مقاصد التوحيد:** وهو رسالة مختصرة، عَلَّق فيها وشرح كتاب التوحيد للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، وهو كتاب مطبوع.
- **شرح كتاب أصول الإيمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب،** وهو كتاب مطبوع.
- **منهج الحق (منظومة في التوحيد والأخلاق):** وهي منظومة شعرية جميلة ذكر في أصول الدين والعقيدة بطريقة شعرية، وهو كتاب مطبوع.
- **التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين:** فهو شرح للكافية الشافية (لنونية ابن القيم)، في فن التوحيد والعقائد والأصول، وهو كتاب مطبوع.

ثالثاً: الفقه وأصوله.

- **مختصر في أصول الفقه:** اشتمل على عشرة قواعد وأبواب في أصول الفقه، وهو كتاب مطبوع
- **منظومة القواعد الفقهية:** وهي منظومة شعرية جميلة اشتملت على قواعد فقهية وأصولية، قليلة الألفاظ غزيرة المعاني، وهو كتاب مطبوع.
- **نور البصائر والألباب في أحكام العبادات والمعاملات والآداب:** اشتمل على ما يحتاجه المسلم مختصراً على القول الصحيح بدليله من الكتاب والسُنَّة، وهو كتاب مطبوع.
- **تذكرة أولي الألباب في ذكر السؤال والجواب في الفقه:** اشتمل على أسئلة طرحها الشيخ على طلبته من كتاب المقنع، فقسمهم على مجموعتين، كل مجموعة تأتيه بجواب، فاختار من هذه الأجوبة أقربها إلى الفَهْمِ الصحيح للكتاب والسُنَّة، وهو نسخة الكترونية فقط.
- **منهاج السالكين وتوضيح الفقه في الدين:** ويشتمل على عدة أبواب في الفقه، العبادات والمعاملات والعقوبات وغيرها، وهو كتاب مطبوع.

رابعاً: مواعظ وآداب.

- **رسالة في الحثِّ على اجتماع كلمة المسلمين، وذمِّ التفرق والاختلاف:** رسالة قَيِّمة في الحثِّ على الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق والتنازع، وهو كتاب مطبوع.

- **الفواكه الشهية في الخطب المنبرية**: وهي خُطب ألقاها الشيخ في صلاة الجمعة أعوامٍ طويلةٍ في مسجده بالقصيم، وهو كتاب مطبوع.
- **حُسن الخُلق**: كتاب جميل يُظهر فيه الشيخ، أهمية ومنافع حُسن الخُلق وطُرق الوصول إليه، وعاقبة من تحلى به، وهو كتاب مطبوع.
- **فوائد من كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم**: مختارات بديعة من هذين الإمامين الهمامين، أختارها الشيخ بعناية فائقة، وهو كتاب مطبوع.
- **نبذة مختصرة إجمالية عن الإسلام والإشارة إلى مهمات محاسنه**: اشتمل على أهم ما يجب على المسلم إعتقاده والعمل به، وهو نسخة الكترونية فقط.

وفاته:

"أُصيب بمرض ضغط الدم وتصلب الشرايين، فكان يعتريه المرة بعد الأخرى وهو صابر عليه مدة خمس سنوات، فزاد عليه وسافر إلى لبنان لعلاجه، فنصحه الأطباء بالراحة وقلة التفكير والإجهاد، فعاد إلى بلاده ولم يصبر على ترك العلم فقام به تعليماً، وتأليفاً، وبحثاً...وفي ليلة الأربعاء بعد أن صلى الناس صلاة العشاء أصيب بإغماء لم يفق منه إلا فترة بسيطة، طمأن فيها الحاضرين من أهله، وهوَّن عليهم أمر الدنيا، ثم عاد إلى إغمائه، فطلب له الأطباء من الرياض بطائرةٍ، ولرداءة الجو لم تتمكن من الهبوط في مطار عُنيزة، وقرب طلوع الفجر من ليلة الخميس 23 جمادى الآخرة عام 1376 (1957م)، انتقل إلى رحمة الله تعالى وصلي

عليه بعد صلاة الظهر في الجامع... والحقيقة أن عُنيزة منذ تأسست لم تصب بمصيبة عامة مثل مصيبتها به، وظهر ذلك في البكاء والحزن الشديد من كل المواطنين".[1]

وقد ذكر عبد الرحمن العدوي الذي عاصره وكان مدرساً في معهد عنيزة "وإنَّي لا أجد ما أصف به فضل هذا الشيخ وجهاده ومنزلته بين العلماء أحسن مما سمعته من عجوز جالسة على طريق الجنازة، فقد قالت ونحن نَمُرُّ عليها نحمل نعشه، قالت العجوز في صدق وحرارة: نجم هوى".[2]

المبحث الثاني: وقفات من حياته.

هذه الوقفات من حياة الشيخ كمثلٍ وأنموذجٍ لحياته، وكيفَ كانت طبيعته، وخُلقه مع أهل بيته، وأسرته، وجيرانه، وأهل مسجده، ولو ذكرنا كل مواقفه الطيبة المباركة فالأمر يطول، فنأخذ من كل جانبٍ مثالاً واحداً، أو مثالين.

[1] عبد الله البسام، *علماء نجد خلال ثمانية قرون*، دار العاصمة، الرياض 1419، 3\250.

[2] محمد إبراهيم الحمد، *تراجم تسع من الأعلام*، ابن خزيمة، الرياض ط1 2007، ص248.

المطلب الأول: مع أسرته وجيرانه.

- **مع أسرته.**

❖ "وكان رحمه الله (ابن السعدي) قليل الأكل، متزهداً في مأكله ومشربه، فهو يصوم أيام البيض من كل شهر"[1]. وهكذا هم العلماء الربانيون، ليست الدنيا وشهواتها همهم ومبتغاهم، وهذا هو خلق الحبيب ﷺ.

❖ "وكان رحمه الله في أول أمره يغسل ملابسه بنفسه بالشنَّان (نوع من أنواع الأعشاب) أو الصابون القوالب، وذلك لأنَّ الوالدة رحمها الله كانت تقوم بباقي أعمال المنزل، ولم يكن عندها خادمة تخدمها وتساعدها أول الأمر، وما كان رحمه الله يُحب أن يُكلف أحداً من أبناءه بعمل من أعمال البيت أو غيره أو مساعدته في ذلك، بل كان يُباشر أعماله بنفسه".[2]

فهنا تُعرف معادن الرجال، وهنا تَنكَشف الأخلاق والشهامة والمروءة، مع أهل البيت، مع الزوجة والأولاد، مع أضعف الخَلْق، وأحْوَجِهم إلى المساعدة، وهنا يظهر الفَهْم الصحيح لمعاني الدين، وتطبيقها على الواقع من خلال مواقف صغيرة، لكنَّها كبيرةٌ، بالغة الأثر.

[1] محمد بن عبد الرحمن السعدي، مساعد بن عبد الله السعدي، *مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي*، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض ط2 2007، ص48.

[2] المصدر السابق، ص54.

- **مع جيرانه.**

كان الشيخ محبوباً من جميع أهل عُنيزة، وكانَ يخصُّ جيرانه بمزيدٍ من لين الجانب وتلبية الدعوات.

❖ "وكانَ من طريف ما يصنعه الشيخ، ويدلُّ على حرصه على دينه أنَّه كان إذا ذهب لإجابة الدعوة يُسِرُّ إلى بعض أصدقائه من طلبة العلم من الذين يرافقونه في الدعوات العامة ومنهم زامل صالح آل سليم فيقول له: إذا سمعت الحاضرين أو المدعوين يتكلمون في الناس وأعراضهم، أو يتكلمون بكلام فارغ فاسألني سؤالاً أو اذكر مسألةً شرعيةً أو علميةً وسوف أقوم بالإجابة عن المسألة...

وبهذا يتحول المجلس من مجلس لغوٍ وغيبةٍ وكلامٍ لا فائدة منه، إلى مجلس علمٍ وفتوى وفائدة، فيعُم نفعه الجميع في دينهم ودنياهم دون إحراج أحد، وهذا من حكمته".[1]

وهذا يَدُلّك على حرص الشيخ على العلم وتبليغه للناس، وحرصه على مدارسته في كل وقت وحين، وعدمُ الخوض بما لا فائدة منه، وحرصه على تبليغه لجيرانه وأهل مدينته، وهذا هو خُلُقُ الأنبياء عليهم السلام، فأول ما يظهر نَفعهم على من حاولهم، من جيران وأهل وأقارب.

[1] محمد بن عبد الرحمن السعدي، مساعد بن عبد الله السعدي، *مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي*، دار الميمان للنشر والتوزيع، ط 2 الرياض 2007، ص41.

❖ "كان للشيخ رحمه الله (ابن السعدي) دور بارز في إصلاح ذات البين، وكانت كثير من العائلات والأسر في عنيزة تطلب من الشيخ أن يتدخل للإصلاح بينهم... وكانت كلمة الشيخ مسموعة بين الناس، وكان له كذلك دور إصلاحي بين بين الرجل وزوجته، فكانوا يرضون بحكمه".[1]

وهكذا هو حال العلماء ومنهم ابن السعدي، خير وبركة أينما كانوا، وأول ما يكون نفعهم لمن جاورهم وقاربهم، ولهم كلمتهم ومكانتهم في مجتمعهم، وهذه المكانة استحقوها، لأثرهم الطيب، وبفعلهم قبل قولهم، ولبذلهم قبل أخذهم، فكانت لهم تلك المنزلة الرفيعة في قلوب العباد.

المطلب الثاني: مع أهل مسجده.

كانَ الشيخ حياته تدور بين بيته ومسجده، وكانَ لمسجده النصيب الكبير من العناية والتدريس ورعاية أحوال المصلين وطلاب العلم، وكان معهم كالوالد مع أولاده.

❖ " وعند آذان الفجر يذهب إلى المسجد (جامع عُنيزة الكبير) يؤم المصلين لصلاة الفجر، وبعد صلاة الفجر يذهب إلى منزل صديق عمره الشيخ يوسف العبد العزيز الشبل فيشربون القهوة والحليب ويتدارسان القرآن، ثم يرجع إلى البيت.

[1] محمد بن عبد الرحمن السعدي، مساعد بن عبد الله السعدي، *مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي*، دار الميمان للنشر والتوزيع، ط 2 الرياض 2007، ص52.

ثم يَرجع ضحى إلى المسجد الجامع للتعليم والتدريس ثم يرجع للمنزل لتناول الغداء، بعد الغداء يذهب إلى المسجد للتعليم والتدريس، ثم يرجع إلى البيت للقراءة والتأليف والرد على الرسائل التي تصل إليه من جميع أنحاء المملكة وخارجها للرد عليها.

وبعد ذلك يعود لبيته فيتوضأ ثم يذهب إلى المسجد للتعليم والتدريس حتى آذان العصر، ثم يصلي العصر، وبعد العصر يشرع أحد طلابه في قراءة بعض الكتب بين يديه، وقبل غروب الشمس يتوجه إلى المسجد فيؤم الناس في صلاة المغرب، وبعد المغرب يجلس لتفسير القرآن الكريم، فيستمر في درسه إلى آذان العشاء، فيؤم المصلين لصلاة العشاء، وكان يراعي أحوال المصلين من المرضى والضعفاء فلا يطيل عليهم".[1]

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن العدوي، وهو من رافقه في معهد عنيزة:

- "لقد كان الشيخ عبد الرحمن السعدي من الناحية الدينية هو كل شيء في عُنيزة، فقد كان العالم والمعلم، والإمام والخطيب، والمفتي، والواعظ، والقاضي، وصاحب مدرسة دينية له فيها تلاميذ منتظمون".[2]

[1] محمد بن عبد الرحمن السعدي، مساعد بن عبد الله السعدي، *مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي*، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض ط2 2007، ص36-37، بتصرف.

[2] محمد إبراهيم الحمد، *تراجم تسع من الأعلام*، ابن خزيمة، الرياض ط1 2007، ص245.

لقد نذر الشيخ وقته وعلمه وماله وصحته، لبيت الله، ولكتاب الله، ولتبليغ شرعه، فكان نتيجة ذلك، هذا الأثر الطيب الذي خَلَّفه من العلم، ومن ثناءِ الناس عليه.

المطلب الثالث: طرائف سعدية.

كان الشيخ مع ما أوتي من علمٍ وفهمٍ وذاكرةٍ متّقدة، قد أوتي روحاً مرحةً، ونفسٍ متسامحةٍ، وقد كانت حياته مليئةً بالمواقف التي تدلُّ على تلك الروح الطيبة المحِبة المتَفهمة، ولنأخذ مثالاً واحداً.

كان في عُرف أهل نَجْد أنَّ الخاطب لا يرى خطيبته، إلّا في ليلة الزفاف، وهذا مما اعتاده الناس أيضاً في الكثير من البلدان العربية والإسلامية آنذاك، مما يُخالف شرع الله، وحكمته في جواز النظر إلى المخطوبة عند التقدم لخِطبة البنت، وهذا مما كان يحث عليه ابن السعدي ويأمر به، فجاءه أحد السائلين:

- "ياشيخ هل يحلّ لي إذا كان عندي بنت وجاء أحد يخطبها وطلب مني شوفة البنت (النظر إليها) فهل أسمح له يشوفها؟ فقال الوالد: لا بأس ما دام هناك مَحْرَم، ومن الأحسن له ولها، وهذا مأمور به في السُنَّة، وبه يطمئن خاطر البنت والرجل.

فكان في هذا المجلس أحد كبار طلبة الشيخ الوالد علي الزامل رحمه الله، وهو مرجِع للشيخ ولأهل عُنيزة في (النحو واللغة العربية) وكان رحمه الله كفيف البصر، فقال للشيخ الوالد وهو يمازحه: ياشيخ وحنَّا (نحن) ياكفيفين البصر ما نقدر نعرف عن البنت شيء، هل هي زينة أو شينة، فهل يصح لنا أننا نلمس بأيدينا؟

فضحك الحاضرون في المجلس وضحك الشيخ الوالد من هذا السؤال وهو يعرف أنَّه يمزح".[1]

فمزاحه، وتقبله للمزاح يدُلُّك على قلب مفعم بالحب والسماحة والطيب، بل بقلب قد شرب من خُلُقِ النبي ﷺ الذي ما رُؤي أكثر تبسماً منه.

كان ابن السعدي يلبي دعوة من دعاه، بغض النظر عن مكانته الاجتماعية، أو العلمية، فألحَّ عليه رجل أن يقبل دعوته، لكن ابن السعدي اعتذر بكثرة مواعيده، فقال له:

- "أواعدك أول السنة القادمة، فدهش الرجل لمفاجأته بعد القبول وبُعدِ الموعد وقال الرجل للوالد: لا أنت أكيد ما تريد تدخل محلي. قال له الوالد: يا أخي أنت تعرف أن يوم الثلاثاء القادم يعتبر من السنة الجديدة، أي بعد يومين".[2]

المبحث الثالث: تفسير ابن السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)

وهو من كتب التفسير المعاصرة والقيّمة، فأول ما بدأ بكتابتهِ لنفسهِ، وعندما إطّلع بعض تلاميذه عليه اقترحوا أن يقرأه عليهم في المسجد، فكان ابن السعدي يقرأ الآيات التي يريد كتابتها في تفسيره على أهل مسجده، فكتب تفسيره بأسلوب بسيط يفهمه العالِم والعامّي،

[1] محمد بن عبد الرحمن السعدي، مساعد بن عبد الله السعدي، *مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي*، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض ط2 2007، ص42.

[2] المصدر السابق، ص66.

وقد امتاز بسهولة ألفاظه وبساطة معانيه، وتركيزه على هداية الناس، لأمر دينهم ودنياهم، وإصلاح القلوب والعقول.

وقد طبع أولاً بعدة مجلدات، ثم طبع بعد ذلك بمجلد واحد (نسخة الباحث) لسهولة حمله، وللترغيب في قراءته.

وكما ذكر ذلك في تفسيره حيث قال: "وقد تكرر عليَّ السؤال من كثير من الأصحاب في نشر تفسيرنا هذا جميعه وألحّوا، لما يرونه من الفائدة الكبيرة، فاعتذرت بأن ذلك صعب جداً لأنه مبسوط، وأيضاً في هذه الأوقات قلت رغبات الناس في الكتب المطولة".[1]

المطلب الأول: مميزات تفسير ابن السعدي.

1- سهلُ العبارةِ واضحُ الإشارة: فقد صاغهُ على نمطٍ بديعٍ بعباراتٍ قريبةٍ لا خفاءَ فيها ولا غموض، ولا تكلف في لغته، فانظر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة 189/2)، فانظر كيف صاغ العبارة التفسيرية فقال: "ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جعل له موصلاً، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة التي يحصل بها المقصود".[2]

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص469.

[2] المصدر السابق، ص88.

2- بيانٌ لعقيدةِ أهلُ السُنَّةِ والجماعة: فإنَّ الأمة الإسلامية بحاجةٍ ماسةٍ لتفسيرٍ يوضحُ ويرسّخُ هذه العقيدة في نفوس الأمة، ببيان الحقِ الواضحِ والدواءِ الشافي، فعرض ابن السعدي هذه العقيدة الصافية بطريقة سهلة لا غموض ولا لبس فيها، داحضاً آراء الفرق الأخرى، مبيناً زللها في هذا الجانب، كما في تفسيره لقوله تعالى: "﴿ما مِن شَفيعٍ إِلّا مِن بَعدِ إِذنِهِ﴾ (يونس 3/10)، فلا يقدم أحد منهم على الشفاعة، ولو كان أفضل الخَلْق، حتى يأذن الله، ولا يأذن، إلا لمن ارتضى، ولا يرتضي إلا أهل الإخلاص والتوحيد له".[1]

3- عدمُ الخوضِ في التفسيرِ العلميّ: فقد أفرطَ بعضُ المفسرينَ المعاصرينَ في ذلك، بجعلِ القرآن الكريم تابعاً لنظرياتٍ علميةٍ قد تخطأ وقد تصيب، وكأنَّها هي الأصل، لكنَّه قد يذكر ما تدعوا الحاجة إليه، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية 20/88)، حيث قال: "واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنَّها كرة مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دل على ذلك النقل والعقل والحس والمشاهدة، كما هو مذكور معروف عند أكثر الناس، خصوصاً في هذه الأزمنة، التي وقف الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة للبعيد، فإن التسطيح إنَّما ينافي كروية الجسم الصغير جداً، والذي لوسُطح لم يبق له استدارة تذكر.

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص357.

وأمَّا جسم الأرض الذي هو في غاية الكبر والسعة، فيكون كروياً مسطحاً، ولا يتنافى الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة".[1]

4- ربطُ التفسيرِ بالواقعِ المعاصر: بتطبيقِ التفسيرِ على المجتمع، وتوجيه ذلك المجتمع لما عليهمُ القيامَ به على حَسبِ توجيهات القرآن الكريم، كما في تفسيره لقوله تعالى: "﴿وَابنِ السَّبيلِ﴾ (التوبة 60/9)، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فحث الله عباده على إعطائه من المال ما يعينه على سفره، لكونه مظنَّة الحاجة، وكثرة المصارف، فعلى من أنعم الله عليه بوطنه، وراحته، وخوله من نعمته، أن يرحم أخاه الغريب الذي بهذه الصفة على حسب استطاعته".[2]

5- العبرُ والعظاتُ واللطائفُ التفسيريةِ البديعة: بالإستفادة من القصص القرآنية وغيرها، وقد ذكرت ذلك في الفصل السابع من هذا البحث.

6- تجنبُ الحشو والتطويل الذي لا فائدة منه: فقد كانت العبارةُ التفسيريةُ مختصرةً مفهومةً.

7- الفوائد والعبر والعظات: التي يذكرها ابن السعدي في تفسيره كلَّما دعت الحاجة، وقد أفاض وأجاد ابن السعدي، فكثيراً ما يذكر ذلك، وهذه من سمات ومميزات المدرسة النجدية في التفسير، أنَّها تذكر الفوائد بعد كل موضوع تفسيري منفصل بمعناه.

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص922-923.

[2] المصدر السابق، ص83.

8- استلهام العبر والعظات من قصص الأنبياء وربطها بالواقع المعاصر: وقد ذكر ابن السعدي هذه العظات والعبر بعد قِصةِ كلِ نبي تقريباً، قد تطول هذه الفوائد والعظات إلى الخمسين فائدة وقد تقصر، وقد يعلق على القصة ويرشد إلى المعنى الصحيح الذي تدل عليه، بخلاف المعنى المتداول، كما ذكر ابن السعدي في تفسيره لسورة القصص حيث قال: "وهذا الرجل، أبو المرأتين، صاحب مَدْين، ليس بشُعيب النبي المعروف، كما اشتهر عند كثير من الناس، فإنَّ هذا قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون، أنَّ شعيب عليه السلام بلده مَدْين، وهذه القضية جرت في مَدْين، فأين الملازمة بين الأمرين.

وأيضاً، فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب... وقد أعاذ الله المؤمنين أن يرضوا لبنتي نبيهم، بمنعهم من الماء، وصد ماشيتهما، حتى يأتيهما رجل غريب فيحسن إليهما..."[1].

9- اهتمامه باللغة العربية بطريقة متوازنة: فلا يغوص في المعنى اللغوي على حساب المعنى السلوكي والتشريعي، ولم يهمل اللغة ويجعلها وراء ظهره، بل جعل المعنى اللغوي طريقاً للوصول للمعنى السلوكي والتشريعي.

وكانت عنايته القليلة هذه منصبة إلى معنى الحرف، ومرجع الضمير، والاستفهامات وما تدل عليه، وأعرض عن الإعراب أعراضاً تاماً، كما ذكر في تفسيره للآية الكريمة: "﴿قُل هَل مِن شُرَكَائِكُم مَن يَبدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعيدُهُ﴾ (يونس 34/10)،

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص615.

أي: يبتديه ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، وهذا استفهام بمعنى النفي والتقرير، أي: ما منهم من أحد يبدأ الخلق ثم يعيده، وهي أضعف من ذلك وأعجز".[1]

10-الاهتمام بسيرة النبي ﷺ بما يعضد المعنى التفسيري: وهذه الإشارات من السيرة عرضها ابن السعدي بطريقة استلهام الفوائد منها ومن عبرها، كما في تفسيره لقوله تعالى: "﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب 37/33)،...زيد بن حارثة وكانت تحته زينب بنت جحش، ابنة عمة رسول الله ﷺ، وقد كان قد وقع في قلب الرسول ﷺ، لو طلقها زيد، لتزوجها، فقدر الله أن يكون بينها وبين زيد ما اقتضى أن جاء زيد بن حارثة يستأذن النبي ﷺ في فراقها".[2]

11-تأثره الشديد بمدرسة ابن القيم التفسيرية: فابن القيم رائد مدرسة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، حيث تأثر بهذه المدرسة مفسرون كُثر في العصر الحديث، ومنهم ابن السعدي، وهذه المدرسة تدعو إلى أنَّ لكلِّ سورة إطار عام، وأهداف، تدور أحداث وتفاصيل السورة حولها، وأيضاً بدأ تفسيره بفوائد مهمة لابن القيم من كتابه بدائع الفوائد المتعلقة بالتفسير، باعتبارها الطريقة التي يُفْهَم بها النص القرآني.

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص364.

[2] المصدر السابق، ص665.

12-اعتماده على أمهات التفاسير: لكنَّه صاغ النص التفسيري بأُسلوبه وطريقته المحببة والمفهومة من قبل الخاصة (طلاب العلم) والعامة، غير أنَّه لا يذكر من نقل عنه في الغالب، بل يشير إلى قوله: وقال المفسرون.

13-قد اعتنى بالمعنى الإجمالي لغالب الآيات: إلّا أن يرى حاجةً ماسةً لتوضيح المعنى التفصيلي.

14-عند تفسيره لآيات الأحكام يذكر الرأي الراجح ولا يذكر الخلاف: إلا ما ندر، كما في قوله تعالى: "﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة 150/2)، ففيها اشتراط استقبال الكعبة للصلوات كلها، فرضها ونفلها، وأنَّه إن أمكن استقبال عينها، وإلا يكفي شطرها ووجهتها، وأنَّ الالتفات بالبدن مبطل للصلاة، لأنَّ الأمر بالشيء نهي عن ضده".[1]

15-المفسر ابن بيئته: فكان ابن السعدي بطريقته (السهل الممتنع) معبراً عن تلك البيئة النجدية، كما ذكر ابن السعدي في تفسيره للآية الكريمة: "﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجعَل لَكُم فُرقانًا وَيُكَفِّر عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَيَغفِر لَكُم وَاللَّهُ ذُو الفَضلِ العَظيمِ﴾ (الأنفال 29/8)، امتثال العبد لتقوى ربه عنوان السعادة، وعلامة الفلاح، وقد رتب الله على التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئاً كثيراً، فذكر هنا أنَّ من اتقى الله حصل له أربعة أشياء، كل واحدٍ منها خير من الدنيا وما فيها، الأول: الفرقان...

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص71.

الثـــاني: تكفـــير الســـيئات... الثالـــث: مغفـــرة الـــذنوب... الرابـــع: الأجـــر العظـــيم والثـــواب الجزيل".[1]

16-عـــدم الإحالـــة إلى مواضـــع أخـــرى مـــن التفســـير: بـــل يـــذكر القصـــة، أو المعـــنى حـــتى لـــو تكـــرر في عـــدة مواضـــع، كمـــا ذكـــر ابـــن الســـعدي في معـــرض تفســـيره لقولـــه تعـــالى: ﴿اللَّـــهُ نَـــزَّلَ أَحْسَـــنَ الْحَـــدِيثِ كِتَـــابًا مُّتَشَـــابِهًا مَّثَـــانِيَ تَقْشَـــعِرُّ مِنْـــهُ جُلُـــودُ الَّـــذِينَ يَخْشَـــوْنَ رَبَّهُـــمْ ثُمَّ تَلِـــينُ جُلُـــودُهُمْ وَقُلُـــوبُهُمْ إِلَى ذِكْـــرِ اللَّـــهِ ذَلِـــكَ هُـــدَى اللَّـــهِ يَهْـــدِي بِـــهِ مَـــن يَشَـــاءُ وَمَـــن يُضْـــلِلِ اللَّـــهُ فَمَـــا لَـــهُ مِـــنْ هَـــادٍ﴾ (الزمـــر 23/39)، "كـــذلك القلـــب يحتـــاج دائمـــاً إلى تكـــرر معـــاني كـــلام الله عليـــه، وأنَّـــه لـــو تكـــرر عليـــه المعـــنى مـــرة واحـــدة في جميـــع القـــرآن، لم يقـــع منـــه موقعـــاً، ولم تحصـــل النتيجـــة منـــه، ولهـــذا سَـــلكتُ في هـــذا التفســـير هـــذا المســـلك الكـــريم، اقتـــداءً بمـــا هـــو تفســـير لـــه، فـــلا تجـــد فيـــه الحوالـــة علـــى موضـــع مـــن المواضـــع، بـــل كـــل موضـــع تجـــد تفســـيره كامـــل المعنى".[2]

17-ذكـــره للفـــرق والمـــذاهب بطريقـــة عقلانيـــة ومنصـــفة: فكـــان ســـليم الســـريرة (ونحســـبه كـــذلك والله حســـيبه)، لكـــل مـــن شـــهد أن لا إلـــه إلا الله، فـــتراه عنـــدما يـــذكر المعتزلـــة، أو الجهميـــة، أو الأشـــاعرة، أو الصـــوفية، يـــذكر مـــا بهـــم مـــن مخالفـــةٍ وخطـــأٍ وحســـب؟ وبعـــرض أدلتـــه، وأدلـــتهم، دون تجـــريح وشـــتم، وانتقـــاص في الشـــخوص، كمـــا ذكـــر في تفســـيره لقولـــه تعـــالى: "﴿وَلا تَأْكُلـــوا مِمَّـــا لَمْ يُـــذْكَرِ اســـمُ اللَّـــهِ عَلَيْـــهِ وَإِنَّـــهُ لَفِســـقٌ وَإِنَّ الشَّـــياطِينَ لَيوحـــونَ إِلى

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص319.

[2] المصدر السابق، ص723.

أَولِيـــائِهِم لِيُجـــادِلوكُم وَإِن أَطَعتُمـــوهُم إِنَّكُـــم لَمُشـــرِكونَ﴾ (الأنعـــام 121/6)، دلَّـــت هـــذه الآيـــة الكريمـــة علـــى أنَّ مـــا يقـــع في القلـــوب مـــن الإلهامـــات والكشـــوف، الـــتي يكثـــر وقوعهـــا عنـــد الصـــوفية ونحـــوهم، لا تـــدل بمجردهـــا علـــى أنَّهـــا حـــق، ولا تُصـــدَّق حـــتى تُعـــرض علـــى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فـــإن شـــهدوا بالقبـــول قُبلـــت، وإن ناقضـــتها رُدَّت، وإن لم يُعلـــم شـــيء مـــن ذلـــك توقـــف فيهـــا ولم تُصـــدق ولم تُكـــذب، لأنَّ الـــوحي والإلهـــام يكـــون مـــن الـــرحمن ومـــن الشـــيطان، فـــلا بـــد مـــن التمييز بينهما والفرقان".[1]

المطلب الثاني: مكانة تفسير ابن السعدي وثناء العلماء عليه.

لا شـــك في أنَّ مكانـــة ابـــن الســـعدي العلميـــة والـــتي انعكســـت بالضـــرورة علـــى مكانـــة تفســـيره، والذي يُعد من أهم التفاسير الحديثة، وأكثر كتبه شهرة وذيوعاً عند العامة والخاصة.

وعنـــدما نقـــول ثنـــاء العلمـــاء عليـــه، نقصـــد العلمـــاء الربانيـــون، الـــذين اشـــتغلوا بتهـــذيب نفوســـهم قبـــل أن يشـــتغلوا بطلـــب العلـــم وتحصـــيله، مـــن الـــذين عاصـــروه أو رافقـــوه، أو كـــانوا مـــن طلابـــه، وهـــذا المطلب أحسبه من أهم المطالب وأقسام البحث.

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص271.

وعندما يكيلون هذا الكم الهائل من الثناء، والرحمة، والتوقير، فهم لا يبالغون ولا يتملقون لأحدٍ، فالرجل (ابن السعدي) قد التحق بالرفيق الأعلى، وهؤلاء العلماء المخلصون لا يجاملون أحداً في حياته، فضلاً عن المجاملة بعد الممات.

ومن أبرز من أثنى عليه، وأشاد به:

- **الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز:**

"كان رحمه الله كثير الفقه والعناية بمعرفة الراجح من المسائل الخلافية بالدليل، وكانَ عظيم العناية بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكان يُرجِّح ما قام عليه **الدليل**، وكان قليل الكلام إلا فيما ترتب عليه فائدة، جالسته غير مرة في مكة والرياض، وكان كلامه قليلاً إلا في مسائل العلم، وكان متواضعاً حَسنَ الخُلق، ومن قرأ كتبه عرف فضله وعلمه، وعنايته بالدليل، فرحمه الله رحمة واسعة".[1]

لقد صفه ابن باز بأنَّ الدليلَ وحرصه عليه ومتابعته، هو الفيصل الذي كان يحكمه، وليس الهوى، وهذه أعظم منقبة يوصف بها شخص أنَّ غرضه وهدفه وغايته الدليل.

- **الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:**

"هو تفسير جيد، وله أقوال جيدة، مع أن مراجعتي له قليلة، لكن في حدود اطلاعي عليه تبين لي أنَّه **متحرر الرأي والنظر** بضوابط الشرع، وليس عنده جمود، أو تعصب".[2]

---

[1] محمد إبراهيم الحمد، *تراجم تسعة من الأعلام*، ابن خزيمة، الرياض ط1 2007، ص229.

[2] المصدر السابق، ص230.

لقد وصفه الألباني بأنَّ التحرر وعدم الجمود والتعصب، من أهم مميزاته، ولو قارنا ما وصفه به ابن باز والألباني، لقال البعض هناك تعارضاً بين الوصفين؟ فكيف يكون غايته الدليل عند الأول، ومنفتح ومتحرر عند الثاني؟

لكنِّي أقول ليس هنالك أي تعارض! بل قمة الانفتاح والتحرر وعدم الجمود والتعصب، أن تتبع الدليل؟ فما أعظمَ هذا التحرر المنضبط، وما أجمله، وقمة الجمود والتعصب والتشدد، اتباع الهوى، فما أعظمها من آفة، وما أشدها خطراً على صاحبها، وعلى المجتمع من حوله.

- **الشيخ عبد الرزاق عفيفي**[1]

"من قرأ مصنفاته -ابن السعدي- وتتبع مؤلفاته، وخالطه وسبر حاله أيام حياته، عرف منه الدأب في خدمة العلم اطلاعاً وتعليماً، ووقف منه على حسن السيرة، وسماحة الخُلق، واستقامة الحال، وإنصاف إخوانه وطلابه من نفسه، **وطلب السلامة** فيما يجر إلى شر، أو يفضي إلى نزاع وشقاق".[2]

لقد وصفه عفيفي بأنَّ طلب السلامة فيما يجر إلى شر، فأعْظِم به من خُلُق، وأعْظِم بها من منقبة، (وبضدها تتبين الأشياء)، وانظر إلى من يبحث عن الشر، والغريب، والمشادات

[1] عبدالرزاق بن عفيفي بن عطية بن عبد البر شرف الدين النوبي، ولد رحمه الله عام 1323 الموافق 16/12/1905 بقرية شنشور، مركز أشمون منوفية، إحدى محافظات مصر، ونشأ في بيت دين وحزم واجتهاد؛ فحفظ القرآن الكريم بالقرية، ثم انتقل إلى الأزهر فنال العالمية عام 1932 ثم شهادة التخصص في الفقه وأصوله(دكتوراه بالمعنى الحديث)، وهكذا ذاع صيته حتى وصل مسامع العلماء في المملكة أيامها، فحرص الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة رحمه الله على استقدامه.عبدالرزاق عفيفي، *الحكمة من إرسال الرسل*، دار الصميعي، الرياض ط2 1420، ص5-6.

[2] محمد إبراهيم الحمد، *تراجم تسعة من الأعلام*، ابن خزيمة، الرياض ط1 2007، ص230.

الكلامية والفعلية والفقهية، وانظر إلى هذا العالم الرباني الذي هدفه وغايته السلامة، سلامة نفسه ومن يتبعه، ومن يقتدي به.

- **الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل**[1]

"حيث جاء هذا التفسير سهل العبارة، واضح الإشارة وصاغه على نمطٍ بديعٍ، بعباراتٍ قريبةٍ لا خفاء فيها ولا غموض، فهو يعتني بإيضاح المعنى المقصود من الآية بكلام مختصر مفيد، مستوعب لجميع ما تضمنته الآية من معنى، أو حُكم سواء من منطوقها أو مفهومها، دون إطالةٍ، أو استطرادٍ، أو ذكر قصصٍ، أو إسرائيلياتٍ، أو حكايةٍ، أو أقوالٍ تخرج عن المقصود، أو ذكر أنواع الإعراب إلّا في النادر الذي يتوقف عليه المعنى، بل يركز على المعنى المقصود من الآية بعبارةٍ واضحةٍ يفهمها كل من يقرؤها مهما كان مستواه العلمي فهو في الحقيقة **سهل ممتنع**، يفهم معناه من مجرد تلاوة لفظه".[2]

لقد وصفه ابن عقيل بأنَّ السهل الممتنع هو من أعظم الأوصاف التي وصف بها تفسيره، فليس فيه تراكيب لفظية غامضة، أو ألفاظ تحتاج إلى شرح؟ وهذا السهل الممتنع صحيح أنَّه وصف به تفسيره، لكنَّ ابن السعدي كشخصية هو سهل ممتنع، وهذا هو خُلُقُ الأنبياء عليهم السلام.

---

[1] عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الكريم آل عقيل، ولد في عنيزة عام 1335 ونشأ في كنف والده الشيخ عبد العزيز بن عقيل الذي كان من رجالات عنيزة المشهورين ومن أدبائها وشعرائها فكان والده معلمه الأول، درس وتعلم في عنيزة عند أكابر علمائها ومن أبرزهم علامة القصيم ابن السعدي، ثم عين قاضياً في الرياض، ثم ترأس مجلس القضاء الأعلى، إلى أن بلغ السن النظامي للتقاعد عام 1405. عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، *قصتي في طلب العلم*، بتصرف.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص9.

- **الشيخ محمد صالح العثيمين:**

"من أحسن التفاسير حيث كان له ميزات كثيرة: منها، سهولة العبارة ووضوحها حيث يفهمها الراسخ في العلم ومن دونه. ومنها، تجنب الحشو والتطويل الذي لا فائدة منه إلّا إضاعة وقت القارئ وتبلبل فكره. ومنها، تجنب ذكر الخلاف إلّا أن يكون خلافاً قوياً تدعو الحاجة إلى ذكره وهذه ميزة مهمة بالنسبة للقاريء حتى يثبُت فهمه على شيءٍ واحد".[1]

وقال أيضاً تلميذه البار: "أن الرجل قلَّ أن يوجد مثله في عصره في عبادته، وعِلمه، وأخلاقه، حيث كان يعامل كُلاً من الصغير والكبير بحسب ما يليق بحاله، ويتفقد الفقراء، فيوصل إليهم ما يسد حاجتهم بنفسه، وكان **صبوراً** على ما يُلِمُّ به من أذى الناس، وكان يحب العُذر ممن حصلت منه الهفوة".[2]

وأختم هذه الإشادات والمناقب التي وصِف بها ابن السعدي، بتلميذه البار (ابن عثيمين)، الذي وصفه بأنَّه صبور على ما يُلِمُّ به من أذى الناس، فلا يتصور أو يتبادر إلى الذهن أنَّ طريق ابن السعدي كان مفروشاً بالورود في عُنيزة، بل كان هنالك الحاسد، والحاقد، والمريض، والواشي، لكنَّه صبور، وهذا هو خلق الأنبياء عليهم السلام، فقد صبر خير الخَلْق ﷺ على أشد من ذلك.

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص11.

[2] محمد إبراهيم الحمد، *تراجم تسعة من الأعلام*، ابن خزيمة، الرياض ط1 2007، ص230.

المطلب الثالث: المآخذ على تفسير ابن السعدي.

لقد كانت لي عدة ملاحظات ومآخذ على تفسير ابن السعدي من خلال قراءتي لتفسيره، وقد يرى غيري أنها ليست بمآخذ، بل هو أسلوبٌ في التفسير؟ وقد يجد غيري ملاحظات ومآخذ أخرى، فأذكر الآتي:

1- لا يذكر ابن السعدي معاني الكلمات المبهمة في الغالب، فعدم اعتنائه بتحليل الألفاظ اللغوية، بحيث يتبين المعنى المقصود أكثر، كتفسير الطبري، وتفسير الطاهر بن عاشور.

فكان على طالب العلم، أو للمتبصر في كتاب الله أن يجعل له كتاب لمعاني القرآن، يرصد فيه المعاني الدقيقة للكلمات القرآنية، فتكون الفائدة أكبر مع تفسير ابن السعدي.

2- إن هذا التفسير يحوي في طياته من الجانب الإنشائي الشيء الكثير، فأسلوب ابن السعدي الإنشائي قد لا يوصل القارئ البسيط إلى فهم المعنى المحدد للآية، فهو يقرأ كلاماً جميلاً، لكنَّه قد لا يُدْرِك المعنى المراد للآية بسبب إنشائية العبارة، قد تكون ميزة ومنقبة من جانب؟ وقد تكون مأخذ وخلل من جانب آخر؟

فالقارئ لهذا التفسير يستمتع كثيراً في قراءته، فهذا الاستمتاع صفة ملازمة لهذا التفسير، فهو إشكال من جهة أنَّه لايبين المعنى الدقيق للآية، فيحتاج القارئ العادي أن يقرأ كلام ابن السعدي مرة بعد مرة إلى أن يصل إلى مراده من الآية، فالأسلوب الإنشائي غير الأسلوب العلمي، الذي يباشر الفائدة، لكنَّه عندما يُفرد للفوائد ويتكلم عنها، سيجد القارئ سهولة الوصول للمعنى المراد.

3- عدم ذكره للمصادر، ولا للرجال الذين نقل عنهم، ولا للقراءات القرآنية التي أشار إليها، ولا لأسانيد الأحاديث التي ذكرها، فهي مَنْقَبة من جهة، بسرعة وصول المعلومة لقارئ التفسير، وتكون مأخذ، بعدم معرفة طالب العلم مصدر هذا الكلام، ولا من أين استقاه.

4- ورودُ بعض الأحاديث الضعيفة في تفسيره، على الرغم أن ابن السعدي كان عالماً في الحديث، لكنَّها معدودةٌ على الأصابع والحمد لله، ولم يستدل بها في العقائد، أو في التشريعات والأحكام.

5- العفوية والبساطة في العرض والطرح، قد تكون مقبولة مستساغة عند عوام الناس، لكنها ليست كذلك عند العلماء وطلاب العلم.

(خاتمة الفصل)

فذكرت في هذا الفصل ابن السعدي وتفسيره، وبدأت بترجمته وفيها ولادته ونشأته، والبيئة التي نشأ فيها وكيف تجاوزها، وحياته العلمية وشيوخه الذين أخذ العلم عنهم، وكانوا من مشارب مختلفة، وبيئات متنوعة، وهم بدورهم أخذوا العلم من بلدانٍ شتى، فكان لهذا التنوع أثراً كبيراً في انفتاح الشيخ، واعتداله، وتلاميذه الذين أخذوا العلم عنه، والمناصب التي تبوؤها، ومؤلفاته القيّمة في مواضيع شتى، دليلاً على سَعَة عِلمه وتمكنه، ثم ذكرت وفاته.

وذكرت وقفات من حياته، فمع أسرته وجيرانه، دليلاً على ما تحلى به الشيخ من خُلقٍ رفيع، ومع جيرانه وكيف كان ناصِحاً محبوباً مُحْتَرَماً مقدراً، ومع أهل مسجده وكيف كان باذلاً لوقته في سبيل تعليمهم، وطرائف سعدية، فذكرت طُرْفَتين من طرائفه الكثيرة التي كان يتحلى بها.

وذكرت تفسير ابن السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، فبينت ميزات تفسيره التي امتاز بها عن غيره، وتفرد بها، ومكانة تفسير ابن السعدي وثناء العلماء عليه، ومن عاصره ومن جاء بعده، حيث ذكروا ابن السعدي بأروع، وأبجل العبارات، ثم بينت المآخذ التي وجدتها في تفسيره.

الفصل الخامس

منهج ابن السعدي، في التفسير بالمأثور وعلوم القرآن

فهو كشف عن القواعد العامة التي خطها ابن السعدي لنفسه في تفسيره، فلكلِّ بابٍ من أبواب العلمِ طريقته الخاصة به، وسبيله الموصل إليه، ولكلِّ عالمٍ طريقته ومنهجه الخاص به، إمَّا بالتأمل بما خطه من سبقه، وإمَّا بالسير الطبيعي للعقل، فقد جمع ابن السعدي بين الاثنين، بين الالتزام بمنهج وطريقة من سبقه من أئمة التفسير، وبين تلقائيةٍ وعفويةٍ، وهذا واضح للمتبصر في تفسيره، فأذكر في هذا الفصل منهج ابن السعدي بالتفسير بالمأثور وعلوم القرآن، وأوضحه بمبحثين وهما:

المبحث الأول: منهج ابن السعدي في التفسير بالمأثور.

التفسير بالمأثور، ونعني به تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وبأقوال الصحابة، والتابعين رضي الله عنهم جميعاً، وكان هذا المنهج هو منهج الجيل الأول من المفسرين من سلف هذه الأمة، وهو أيضاً منهج المدرسة النجدية في التفسير فلا تكاد تبتعد عن هذا المنهج إلا نادراً وبحدود ضيّقة، فكان هذا المنهج أسلم وأصح المناهج في تفسير كتاب الله تعالى.

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

لقد كان هذا النوع من التفسير الركيزة الأولى التي اعتمد عليها ابن السعدي في تفسيره، فما أُجمل في مكان، فقد بُيّن ووضح في مكان آخر، وما أُختصر في مكان فقد بُسط في مكان آخر.

كما ذكر ابن السعدي في تفسير قوله تعالى"عن المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة 10/2)، بيان لحكمته تعالى في تقدير المعاصي على العاصين، وأنَّه بسبب ذنوبهم السابقة، يبتليهم بالمعاصي اللاحقة الموجبة لعقوباتها كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُم وَأَبصارَهُم كَما لَم يُؤمِنوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُم في طُغيانِهِم يَعمَهونَ﴾ (الأنعام 110/6)، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الصف 5/61)، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذينَ في قُلوبِهِم مَرَضٌ فَزادَتهُم رِجسًا إِلى رِجسِهِم وَماتوا وَهُم كافِرونَ﴾ (التوبة 125/9)، فعقوبة المعصية المعصية بعدها، كما أن ثواب الحسنة الحسنة بعدها، قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذينَ اهتَدَوا هُدًى﴾ (مريم 76/19)".[1]

وهذا النوع من التفسير موجود بكثرة في تفسير ابن السعدي، فقد يذكر الآية ونظيرها من الآيات الأخرى للربط بينهم وتوضيح المعنى، لأن تفسير القرآن بالقرآن أصل من أصول

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص42.

التفسير، لكنَّه يأتي بمثال أو مثالين حتى لا يسهب في الشرح، وهذا الإسهاب ينافي غرضه من التفسير الذي التزم به.

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة.

لقد كانت السنة النبوية المطهرة شارحة للقرآن، مبينة له، مفسرة للكثير مما خفي من ألفاظه، وهناك الكثير من الفرائض والأحكام جاءت مبهمة أحياناً في القرآن الكريم، فجاءت السُنَّة موضحةً ومبينةً وشارحةً لها، وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا أشكل على رجلٍ منهم شيء من كتاب الله، سأل رسول الله ﷺ.

وفي الحديث عن المقدام بن معدي كرب مرفوعاً أنَّ رسول الله ﷺ «ألا إنِّي أوتيتُ الكتابَ ومثلَهُ معهُ، ألا يُوشِكُ رجُلٌ شبعانٌ على أريكتِهِ يقولُ عليكُم بِهذَا القُرآنِ فما وجدتُم فيهِ مِن حَلالٍ فأحلُّوه وما وَجدتُم فيهِ مِن حرامٍ فحرِّمُوه، ألا لا يحلُّ لكُم لحمُ الحِمارِ الأهليِّ، ولا كلِّ ذي نابٍ من السَّبُعِ، ولا لُقَطةِ معاهَدٍ، إلَّا أن يستَغني عَنها صاحبُها، ومَن نزل بقومٍ فعليهِم أن يُقْرُوه، فإن لَم يُقْرُوه فله أن يُعْقِبَهُمْ بمثلِ قِرَاه».[1]

وكقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (البقرة 43/2)، فجاءت السنة موضحة لأركانها وعدد ركعاتها وكيفيتها ومواقيتها وسننها وهكذا، كما في قول رسول الله ﷺ. عن أبي سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أَتَيْنَا النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ونَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فأقَمْنَا

[1] محمد ناصرالدين الألباني، صحيح *الجامع الصغير وزيادته*، المكتب الإسلامي، بيروت ط3 1988، رقم الحديث 2643 1\516.

عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا في أَهْلِنَا، فأَخْبَرْنَاهُ، وكانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: «... صلوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي...».[1]

وكان منهج ابن السعدي بتفسير القرآن بالسُنَّة الصحيحة فقط، إلا ما ندر، لأنَّه كان متمكناً وذو قدمٍ راسخة في علم الحديث، عالماً بسقيمه وصحيحه، لكنَّه قد يذكر الحديث دون سند، وقد يذكر الصحابي الراوي فقط، ونادراً ما كان يذكر السند كاملاً، وغالباً ما يذكر أنَّ السُنَّة كذا وكذا.

وأورد ابن السعدي الحديث الصحيح وأشار إليه في تفسيره لقوله تعالى: "﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة 54/5)، فإنَّ محبة الله للعبد هي من أجلِّ نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبداً يسرَّ له الأسباب، وهوَّن عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد.

ومن لوازم محبة العبد لربه، أنَّه لا بد أن يتصف بمتابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً، في أقواله وأعماله وجميع أحواله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران 31/3).

[1] محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، جمعية البشرى الخيرية، كراتشي 2016، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم الحديث 6008 ص2681.

كما أن من لازم محبة الله للعبد أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن الله: «وما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ[1]»".[2]

المطلب الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

لا شك في أن الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً هم أقرب الناس فَهْماً وعِلماً لكتاب الله عزوجل، لأنَّهم اصطِفاءُ الله، فهم الذين ارتضاهم العليم الحكيم لصحبة نبيه ﷺ.

وهم العرب الأقحاح الذين نزل القرآن بلغتهم الفصيحة، فكانوا أعلم الناس به بعد نبيه ﷺ، وقد نزل القرآن وهم بين يدي رسول الله ﷺ، فهم أعلم الناس أين نزل، وكيف نزل، ولأي سبب نزل؟ وهم أيضاً متفاوتون في ذلك فمنهم الذي اشتغل بعلم التفسير وتخصص فيه كابن عباس، والخلفاء الأربعة، وابن مسعود، رضي الله عنهم جميعاً.

ولقد كان منهج ابن السعدي في تفسير القرآن بأقوال الصحابة، إنَّه قد يذكر من نقل عنه من الصحابة، وقد لا يذكر، وإذا نقل فإنَّه لا يذكر اسم الصحابي في كثير من الأحيان، فيقول: قال المفسرون، أو كما ذكر المفسرون، أو كما ورد عن السلف.

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، جمعية البشرى الخيرية، كراتشي 2016، كتاب الرقائق، باب التواضع، رقم الحديث 6502 ص2873.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص235.

وقد يذكر اسم الصحابي صراحة ويستدل بقوله على معنى الآية كما في قوله تعالى: "﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة 45/5)، قال ابن عباس: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، فهو ظلم أكبر، عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له"،[1] وهكذا تجد أن ابن السعدي قد يذكر اسم الصحابي، وقد لا يذكر، فيأتي بالقول أو الحكم ويقول: قال السلف، وهو قولاً يحتمل الصحابة، أو التابعين، أو من تبعهم؟

المطلب الرابع: تفسير القرآن بأقوال التابعين.

لا شك أنَّ التابعين، وهم من عاصر الصحابة، ونقلوا عنهم، وأخذوا منهم العلم والعمل والسلوك، وهم كذلك من أعلم الناس بلغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم، فكان قولهم مُقدماً على من جاء بعدهم على القول الراجح.

وكان ابن السعدي في منهجه بالتفسير بالأخذ بأقوالهم، فأحياناً يشير إلى من أخذ منه، وأحياناً كثيرة يشير إلى قول السلف، وهذا كلام قد يشير إلى الصحابة أو التابعين.

وقد يذكر ابن السعدي القول وينسى من القائل، كما في تفسير قوله تعالى: "﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (المؤمنون 45/23)، مر عليَّ منذ زمان طويل

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص233.

كلام لبعض العلماء لا يحضرني الآن اسمه [1]، وهو أنَّه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العذاب عن الأمم، أي: عذاب الاستئصال، وشَرَعَ للمكذبين المعاندين الجهاد، ولم أدر من أين أخذه، فلمَّا تدبرت هذه الآيات، مع الآيات التي في سورة القصص، تبين لي وجهه".[2]

المبحث الثاني: منهج ابن السعدي في التفسير بعلوم القرآن.

لقد اهتمَ ابن السعدي بعلومِ القرآن، وتعرض لكثيرٍ من مباحثها، لأنَّه إحدى أهم القواعد التي يستند إليها المفسر في تأويله لآي القرآن الكريم، ومن أهم شروط المفسر، وقد أُلف في علوم القرآن العديد من المصنفات قديماً وحديثاً وذلك لأهميته لطالب العلم، وللمفسر خاصة.

"والمراد بعلوم القرآن: العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيثُ معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن"[3].

وقد تفاوت اهتمام ابن السعدي بمباحث علوم القرآن بين اهتمام كبير وموسع، وبين اهتمام من باب الإشارة إليه، لكنَّه وبصورة عامة عُنِيَ بها في الموضع المناسب لها، ولأن مباحث علوم القرآن واسعة، من الصعب حصرها واستقصائها في هذا البحث، فسنأتي على أهمها كأمثلة لغيرها، وحسبنا بالقلادة ما أحاط بالعُنُقِ.

---

[1] وتأمل حكمته تعالى في عذابه الأمم السالفة بعذاب الإستئصال لما كانوا أطول أعماراً، وأعظم قوى، وأعتى على الله ورسله، فلما قصرت الأعمار وضعفت القوى رفع عذاب الإستئصال وجعل عذابهم بأيدي المؤمنين. محمد بن أبي بكر ابن القيم، مفتاح دار السعادة، دار ابن عفان، السعودية 1996، 181\2.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص552.

[3] مناع القطان، *مباحث في علوم القرآن*، مكتبة وهبة، القاهرة 2000، ص11.

المطلب الأول: أسباب النزول.

إنَّ القرآن نزل ليهدي الإنسانية جمعاء ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن جَوْرِ الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سَعَة الدنيا والآخرة[1]، ولكن الذي نقصده في هذا المطلب، ما نزل القرآن بشأنه وقت نزوله، كحادثة وقعت في عهد رسول الله ﷺ نزل القرآن لبيان حُكمِ الله فيها، أو سؤال سأله أحد الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ لمعرفة حُكمِ الله فيه، وهنالك قسم من القرآن نزل من غير سبب، إنَّما نزل هدايةً ورحمةً للعباد، وسعادة لهم بدينهم ودنياهم، ونزول القرآن كان منجماً مفرقاً لفترة ثلاثة وعشرين عاماً، ونزوله حسب الحوادث، والوقائع، ولأسباب خاصة.

"وعرفت أنَّ ما قاله المفسرون من أسباب النزول إنَّما هي أمثلة توضح الألفاظ، ليست الألفاظ مقصورة عليها، فقولهم: نزلت في كذا وكذا؛ معناه: أنَّ هذا مما يدخل فيها، ومن جُملة ما يُراد بها".[2]

وابن السعدي قد تَعَرّض لأسباب النزول مبيناً معنى الآية من خلاله، مع أنَّه وجمهور المفسرين يرون أنَّ العِبْرَة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ولأنَّ ابن السعدي كان يعتمد كثيراً على التفسير بالمأثور فقد اعتنى بأسباب النزول، لأنَّ بعض الآيات لا يُدرى تفسيرها ولا يُفهم، إلا بمعرفة أسباب نزول الآيات، وسوف أوضح ذلك بالمثال التالي:

---

[1] القول لربعي بن عامر رضي الله عنه.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *القواعد الحسان لتفسير القرآن*، مكتبة الرشد، الرياض ط1 1999، ص11.

كما في تفسيره لقوله تعالى: "﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة 44/2)، وهذه الآية وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل، فهي عامة لكل أحدٍ، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف 2/61)، وليس في الآية أنَّ الإنسان إذا لم يَقُم بما أُمر به أنَّه يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر".[1]

وقد ذكر ابن السعدي، أنَّ الآية نزلت بسبب أمّة من الأمم السابقة (بني إسرائيل) لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا الأمر من الفضيحة أمام الله، وأمام الناس، أن يأمر الناس بالبر ولا يأتيه، وينهاهم عن الشر ويأتيه، فعلى الإنسان أن يكون صادقاً مع نفسه وربه والناس أجمعين.[2]

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص51.

[2] والناس في الأمر بالبرّ والنهي عن المنكر أقسام:

1-يأمر الناس بالبرّ ويأتيه، وينهى عن المنكر ولا يأتيه، وهو أفضلُها وأعلاها.

2-يأمر الناس بالبرّ ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه، وهذا القسم هو المقصود من الآية، فالنهي في هذه الآية ليس على أمره بالبرّ ونهيه عن المنكر، بل على أمره بالبرّ وعدم إتيانه، ونهيه عن المنكر وأتيانه، فلو ترك الأمرَ بالبرّ والنهي عن المنكر فقد ارتكب مخالفتين.

وأقول أيضاً، أيُّنا يفعل كلَّ الأوامر وينتهي عن كلّ النواهي!، أذا كان لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلَّا من سَلِمَ من المنكرات وفعل كلَّ الواجبات.

كالذي يحث الناس على صيام التطوع أو على قيام الليل، وهو لا يصوم ولا يقوم، نقول لك أجر ذلك، لكنَّ الأولى بك الصيام والقيام.

3-لايأمر الناس بالبرّ ولا يأتيه، ولا ينهى عن المنكر ويأتيه، وهذا القسم أقل دركةً من القسم الثاني.

ينهى الناس عن البرّ ولا يأتيه، ويأمرهم بالمنكر ويأتيه، وهذا القسم هو أخسَّهم دركة، وأشدَّهم خطراً، بل إنَّ فعله للمنكر وعدم فعله للمعروف، أهون من أمره بالمنكر وصده عن المعروف.

المطلب الثاني: فواتح السور.

لقد افتتح الحق سبحانه وتعالى كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام، وهذه الفواتح هي: أوائل السور وبدايتها، وبراعة الاستهلال في فواتح السور مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، لما تنطوي عليه من روعة الأسلوب، وجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة. وأنزل الله تعالى هذا الكتاب الكريم على رسوله الكريم ﷺ ليُعْجز به، ويتحدى به هذه الأمة البليغة، فلا بد من أن يكون معجزاً في نظمه ومعانيه وتراكيبه وفواتحه وخواتيمه، وسوف أوضح ذلك بمثالين:

- **الحروف المقطعة.**

إنَّ الحروف المقطعة في فواتح السور مما استأثرَ الله بعلمه، والمتتبع يجد أنَّ الذين يبحثون في الحروف المقطعة ويحاولون إيجاد سر لها، أو ربطها بأمر غيبي، أو ربطها بحدث أو شخص أو عام، هم أبعد الناس في الواقع والتطبيق عن منهج القرآن كدستور يحكم الناس في أمر دينهم ودنياهم. والذين قالوا إنَّها مما استأثرَ الله بعلمه ومنهم الشيخ ابن السعدي، هم أقرب فهماً وتطبيقاً وسُلوكاً لمنهج القرآن كدستور يحكم الناس في أمر دينهم ودنياهم، وسوف أوضح ذلك بالمثال التالي:

في تفسيره لقوله تعالى: "﴿الم ۞ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة 2/1-2)، وأمَّا الحروف المقطعة في أوائل السور، فالأسلم فيها السكوت عن التعرض لمعناها، (من غير مستند شرعي) مع الجزم بأنَّ الله تعالى لم ينزلها عبثاً بل لحكمة لا نعلمها".[1]

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص40.

فقد أخبر ابن السعدي عن رأيه في هذه الحروف المقطعة بالآتي:

1- الأسلم السكوت: لأنَّها مما استأثرَ الله بعلمه.

2- عدم التعرض لمعناها: لأنَّه لا طائل من وراء ذلك ولا عمل يقرب إلى الله ولا يباعد عن سخطه.

3- من غير مستند شرعي: حيث إنَّه لم يثبت تفسير نبوي أو حديث مرفوع، فلا صحة وراء ذلك.

4- أنَّ الله لم ينزلها عبثاً: وهذا مما لا شك فيه ولا ريب.

5- الحكمة لا نعلمها: وسبحان الله العليم الحكيم.

- **الاستفتاح بالقسم.**

كما في قوله تعالى: "﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۞ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۞ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۞ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۞ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ (الذاريات51/1-2-3-4-5)، هذا قسم من الله الصادق في قيله، بهذه المخلوقات العظيمة التي جعل الله فيها من المصالح والمنافع ما جعل على أنَّ وعده صدق، وأنَّ الدين الذي هو يوم الجزاء والمحاسبة على الأعمال، لواقع لا محالة، ما له من دافع، فإذا أخبر به الصادق العظيم وأقسم عليه، وأقام الأدلة والبراهين عليه، فَلِمَ يكذب به المكذبون، ويُعرِض عن العمل له العاملون".[1]

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص808.

ذكر ابن السعدي في تفسيره لفواتح سورة الذاريات، أنَّها قَسَمٌ العظيم بمخلوقاته العظيمة، التي هي من الآيات الدالة على وحدانيته، وصدق وعده، وأنَّ الخلق مجموعون ليومٍ لا ريب فيه، يُحاسبون فيه على الصغير والكبير ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة 7/99).

المطلب الثالث: الإسرائيليات.

ويُقصد بالإسرائيليات ما ورد عن أهل الكتاب من يهود أو نصارى في كتب التفسير، وإن كان الذي نُقل عن اليهود أكثر، لأنَّهم كانوا على مقربة من المسلمين سواء بالمدينة أو ما جاورها، وكلمة الإسرائيليات، نسبة إلى إسرائيل، وهو يعقوب عليه السلام، فإسرائيل بمعنى عبد الله.[1]

"وإذا أجَلْنا النظر في التوراة والانجيل نجد أنَّهما اشتملا على كثيرٍ من القصص والأخبار التي تَعرَّضَ لها القرآن الكريم ولكن على سبيل الإطناب والتفصيل...أمَّا القرآن فيختلف في طريقة عرضه لهذه القصص والأخبار لأنَّه يقتصر في عرضه لها بذكر موضع العِبْرة والعِظة، لأنَّه كتاب هداية وإعجاز..".[2]

ولو نظرنا إلى منهج ابن السعدي في تعامله مع الإسرائيليات، فتراه حازماً لا تجد في تفسيره أثراً للإسرائيليات، إلا للتنبيه والتحذير منها، والتحذير مما وقع به الكثير من المفسرين، وتساهلوا في هذا الأمر بشكل متفاوت بين مُفْرط ومقلّ.

---

[1] وقال الأعمش عن إسماعيل ابن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس: أن إسرائيل كقولك عبد الله. إسماعيل بن عمر بن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، دار ابن حزم، بيروت 2000، 1\121.

[2] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار الحديث، القاهرة 2012، 1\176-178.

فعبَّرَ ابن السعدي عن رأيه في الإسرائيليات بقوله: "واعلم أنَّ كثيراً من المفسرين رحمهم الله قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزّلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيراً لكتاب الله، محتجين بقوله ﷺ: «حَدِّثُوا عن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»،[1] والذي أرى أنَّه وإن جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزَّلة على كتاب الله، فإنَّه لا يجوز جعلها تفسيراً لكتاب الله قطعاً إذا لم تصح عن رسول الله ﷺ وذلك أنَّ مرتبتها كما قال ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»،[2] فإذا كان مرتبتها أن تكون مشكوكاً فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أنَّ القرآن يجب الإيمان به، والقطْعُ بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تُجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة التي يغلب على الظنِّ كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعاً بها ولا يَسْتَرِيب بها أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل".[3]

إنَّ هذا النص التفسيري يبين بعض من منهج السعدي في الإسرائيليات، فذكر:

1- أن يكون نقل الروايات الإسرائيلية على وجهٍ غير مقرون بكتاب الله ولا متعلق به، لأنَّ مرتبتها من المشكوك فيه، وليس من المتيقن، والمقطوع به.

2- يغلب الكَذِبَ على أكثرِ هذه الروايات.

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، جمعية البشرى الخيرية، كراتشي 2016، كتاب الأنبياء، باب ماذكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث 3461 ص1592.

[2] المصدر السابق، كتاب التوحيد، باب مايجوز تفسيره عن بني إسرائيل، رقم الحديث 7542، ص3356.

[3] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص55-56.

ذكر ابن السعدي في معرض تفسيره لسورة الأعراف ما شابَ قصة صالح عليه السلام بالكثير من الزيادة فيها بغير دليلٍ، ولا علمٍ، وأغلبها نُقل إلى كُتب التفسير من الإسرائيليات "واعلم أنَّ كثيراً من المفسرين يذكرون في هذه القصة أنَّ الناقة قد خرجت من صخرة صمّاء ملساء اقترحوها على صالح، وأنّها تمخضت تمخُض الحامل، فخرجت الناقة وهم ينظرون، وأنّ لها فصيلاً حين عقروها، رغى ثلاث رغيات، وانفلق له الجبل ودخل فيه، وأنَّ صالحاً عليه السلام قال لهم: آية نزول العذاب بكم، أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة ووجوهكم مُصْفرَّة، واليوم الثاني: مُحْمرَّة، والثالث: مُسْوَّدة، فكان ما قال.

وكل هذا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله، وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجهٍ من الوجوه، بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لأنَّ فيها من العجائب والعبر والآيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتى يأتي من طريق من لا يوثق بنقله، بل القرآن يكذّب بعض هذه المذكورات، فإنَّ صالحاً قال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ (هود 65/11)، أي: تنعموا وتلذذوا بهذا الوقت القصير جداً، فإنَّه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأيُّ لذة وتمتع لمن وعدهم نبيهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوقعت يوماً فيوماً على وجه يعمّهم ويشملهم (احمرار وجوههم، واصفرارهم، واسوادهم من العذاب). هل هذا إلا مناقض للقرآن، ومضاد له؟!!! فالقرآن فيه الكفاية والهداية عما سواه...وقد تقدم أنّه لا يجوز تفسير كتاب الله بالأخبار الإسرائيلية، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمور التي لا

يجزم بكذبها، فإنَّ معاني كتاب الله يقينية، وتلك أمور لا تصدق ولا تكذب، فلا يمكن اتفاقهما".[1]

وقد ذكر ابن السعدي تفصيلاً آخر في منهجه مع الإسرائيليات، وهو:

1- مناقشة الرواية الإسرائيلية، وعدم التسليم لها ابتداءً، وعرضها على النقل الصحيح، والعقل الرجيح.

2- إنَّ ما ذكرَ الله في القرآن الكريم من تفاصيل في بعض مواضعه فهو كاف شاف، ولو كان الأمر يعود بالفائدة على الخَلْقِ لذكره الله تعالى في كتابه.

3- واعلم أنَّ كل هذه الإسرائيليات التي ذكرها ابن السعدي محشواً بها تفسيرُ ابن كثير، وذكر أشياء أخرى من الإسرائيليات في قصة نبي الله صالحاً عليه السلام، وأنَّ فصيل الناقة بعد عَقْرَ أمه دخل صخرةً فغال فيها وغيرها كثير.[2]

المطلب الرابع: الناسخ والمنسوخ.

لقد ذَكَرَ هذا النوع من علوم القرآن مجموعة من العلماء قديماً وحديثاً، لكن خير ما ننقل عنه التعريف بمصطلح النسخ، هو المعني بالبحث، ابن السعدي لتكون عبارته وتعريفه شاهداً ومعبراً عن ذلك الإصطلاح.

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص295.

[2] إسماعيل بن عمر بن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، دار بن حزم، بيروت 2000، ص768-769.

النسخ عند ابن السعدي:

"النسخ: هو النقل، فحقيقة النَّسخ نقل المكلفين من حكمٍ مشروع إلى حكمٍ آخر، أو إلى إسقاطه، وكان اليهود يُنكرون النَّسخ ويزعمون أنَّه لايوجد، وهو مذكور عندهم في التوراة، فإنكارهم له كفرٌ وهوى محض، فأخبر الله عن حكمته في النسخ، وأنَّه ما ينسخ من آية ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾، أي: نُنسها للعباد، فنزيلها من قلوبهم، ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾، وأنفع لكم ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ (البقرة 106/2).

فدل على أنَّ النسخ لا يكون لأقل مصلحة لكم من الأول، لأنَّ فضله تعالى يزداد خصوصاً على هذه الأمّة، التي سَهُل عليها دينها غاية التسهيل، وأخْبَرَ أنَّ من قدح في النَّسخ فقد قدح في ملكه وقدرته".[1]

لقد ذكر ابن السعدي في تعريفه لمعنى النسخ بعمومه ولم يتطرق لتفاصيله، ولا أقسامه، وذَكَرَ المعارضين لهذا النوع من النسخ وهم اليهود، ولم يذكر غيرهم ممن شايعهم في أفكارهم، ثم ذكر الحِكْمَة العامة للنسخ، وهو النفع العام، ولم يفصّل في ذلك، وذكر أنَّ إنكار النسخ هو قدح في ملك الله وقدرته سبحانه فهو ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (البروج 16/85)، وسوف أوضح ذلك بالمثال التالي:

كما في تفسيره لقوله تعالى: "﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص62.

مَّعْـرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيـزٌ حَكِـيمٌ﴾ (البقـرة 240/2)، وأكثـر المفسـرين أنَّ هـذه الآيـة منسـوخة بمـا قبلهـا وهـي قولـه: ﴿وَالَّـذِينَ يُتَوَفَّـوْنَ مِـنكُمْ وَيَـذَرُونَ أَزْوَاجًـا يَتَرَبَّصْـنَ بِأَنفُسِـهِنَّ أَرْبَعَـةَ أَشْـهُرٍ وَعَشْـرًا ۖ فَـإِذَا بَلَغْـنَ أَجَلَهُـنَّ فَـلَا جُنَـاحَ عَلَـيْكُمْ فِيمَـا فَعَلْـنَ فِي أَنفُسِـهِنَّ بِالْمَعْـرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَـا تَعْمَلُـونَ خَبِـيرٌ﴾ (البقـرة 234/2)، وقيـل لم تنسـخها بـل الآيـة الأولى دلـت علـى أنَّ أربعـة أشـهر وعشـر واجبـة، ومـا زاد علـى ذلـك فهـي مُسـتحبة ينبغـي فعلهـا تكمـيلاً لحـق الـزوج، ومراعـاةً للزوجـة، والـدليل علـى أنَّ ذلـك مُسـتحب أنَّـه هنـا نفـى الجُنـاح عـن الأوليـاء إن خـرجن قبـل تكميـل الحـول، فلو كان لزوم المسكن واجباً لم ينْفِ الحرج عنهم".[1]

فكـان رأي ابـن السـعدي أنَّ هـذه الآيـة غـير منسـوخة، وأنَّهـا مُحْكمـةٌ، وكـلام ابـن السـعدي في هـذه المسـألة مرجـوح، لوضـوح دلالـة الآيـة الكريمـة (وهـو قـول الجمهـور)، وللأحاديـث الـواردة في السُـنَّة في النهـي عـن الحِـداد فـوق ثلاثـة أيام (إذا كـان الميـت غـير الـزوج)، وفـوق أربعـة أشـهرٍ وعشـرا (إذا كـان الميـت زوجـاً). كمـا ورد في الحـديث الصـحيح: «ثم دخلـت علـى زينـب بنـت جحـش حـين تـوفي أخوهـا، فـدعت بطيـب فمسـت بـه ثم قالـت: مـا لي بالطيـب مـن حاجـة غـير أني سمعـت رسـول الله ﷺ: لا يحـل لامـرأة تـؤمن بالله واليـوم الآخـر تحـد علـى ميـت فـوق ثـلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا».[2]

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص106.

[2] محمد إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، جمعية البشرى الخيرية، كراتشي 2016، كتاب الجنائز، باب إحداد المرأة على غير زوجها، رقم الحديث 1282 ص696.

وأيضاً أنَّ الحدادَ الطويلَ هو من عادات الجاهلية الأولى، والجاهلية الحديثة، للحديث الصحيح: «قال حُميد: قلت لزينب: وما ترمي بالبعرة على رأس الحول؟ فقالت زينب: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها، دخلت حِفشاً، ولبست شر ثيابها، ولم تمس طيبا ولا شيئاً، حتى تمر بها سنة».[1]

المطلب الخامس: قصص القرآن.

كان منهج ابن السعدي استنباطُ عبرٍ وعظاتٍ من القصة القرآنية، فكان في كثيرٍ مِن الأحيان يستنبط من خلال عرضه للقصة القرآنية الواحدة قواعد عقدية، وفقهية، وسلوكية، كلما مرَّ على قصة من قصص القرآن، كما في ذكره لقصة العبد الصالح مع موسى عليه السلام في سورة الكهف، فاستنبط من هذه القصة 38 فائدة، أذكر بعضاً منها:

- **الاستدلال من القصة على قواعد عقدية:** كما ذكر في آخر الفوائد المستنبطة فقال: "أن القضايا التي أجراها الخضر هي قدر محض أجراها الله وجعلها على يد هذا العبد الصالح، ليستدل العباد بذلك على ألطافه في أقضيته، وأنَّه يُقَدِر على العبد أموراً يكرهها جداً، وهي صلاح دينه، كما في قضية الغلام، أو صلاح دنياه كما في قضية السفينة، فأراهم نموذجاً من لطفه وكرمه، ليعرفوا ويرضوا غاية الرضا بأقداره المكروهة"[2].

وهذه من أعظم الاستدلالات التي يستدل بها على وحدانية الله، والإيمان بقضائه وقدره والتسليم والرضا بذلك، وهو من أركان الإيمان كما هو معلوم.

[1] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت 1991، كتاب الطلاق، رقم الحديث 1489 ص1124.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص485.

- **الاستدلال من القصة على قواعد فقهية:** كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَانطَلَقا حَتّى إِذا لَقِيا غُلامًا فَقَتَلَهُ﴾ (الكهف 74/18)، "ومنها القاعدة الكبيرة الجليلة وهو أنَّه: (يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير) ويراعي أكبر المصلحتين بتفويت أدناهما، فإنَّ قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينهما أعظم شراً منه"[1].

وهنا ذكر ابن السعدي القاعدة الفقهية الأصولية بدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير، وذلك عندما تتعارض المفاسد مع المصالح، فيُجتث دابر الأولى حتى يستقيم أمر الثانية.

- **الاستدلال من القصة على قواعد سلوكية:** كما في قوله تعالى: "﴿وَما فَعَلتُهُ عَن أَمري﴾ (الكهف 82/18)، فإنَّه لا يدل على أنَّه نبي، وإنَّما يدل على الإلهام والتحديث، كما يكون لغير الأنبياء...ومنها: أن العلم نوعان: علم مكتسب يدركه العبد بجده واجتهاده، ونوع علم لدني، يهبه الله لمن يمنُّ عليه من عباده لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمناهُ مِن لَدُنّا عِلمًا﴾ (الكهف 65/18)".[2]

فاستنباطه هنا سلوكي، وقد أكثر في هذا الجانب من تفسيره، فتجده يربط الآية الكريمة بما يُقوّم حياة الفرد المسلم، ويحيطها برقائق وروحانيات تدعم المعنى للآية.

وقد ذكر السعدي هنا أن العبد الصالح ليس بنبي ولا رسول وأن الذي فعله من باب الإلهام والتحديث، وهو كلام مرجوح، فكيف لهذا العبد الصالح أن يقتل غلاماً بريئاً من باب

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000التفسيري، ص485.
[2] المصدر السابق، ص484.

الإلهام المجرد فقط، وكيف سيعرف ما تؤول له الأمور من المغيبات إذا لم يكن نبي، فعل الذي فعله بوحي صريح من الله جل جلاله.

قصة ضعيفة:

"﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (التوبة 9/75-76)، وهذه الآيات نزلت في رجل من المنافقين يقال له ثعلبة جاء إلى النبي ﷺ وسأله أن يدعو الله له، أن يعطيه الله من فضله، وأنَّه إن أعطاه ليتصدقن، ويصل الرحم، ويعين على النوائب، فدعا له النبي ﷺ، فكان له غنم، فلم تزل تتنامى حتى خرج بها عن المدينة، فكان لا يحضر إلَّا بعض الصلوات الخمس، ثم أبعد، فكان لا يحضر إلَّا صلاة الجُمُعة، ثم كثرت فأبعد بها، فكان لا يحضر جمعة ولا جماعة".[1]

هذه قصة أوردها ابن السعدي وجعلها سبباً لنزول الآية السابقة، وقد ذكرها غيره من المفسرين قديماً، وأوردها بعض أهل الحديث، بأسانيد ضعيفة[2]، وقد ضُعِّفت سنداً، ومتناً لعدم قبول النبي ﷺ توبته ولغيرها من الأسباب، وقد ضعَّفها وشكك بروايتها ومتنها اثنان من المفسرين المعاصرين، صاحب المنار، وصاحب الضلال، بشيء من التفصيل. وبغض النظر فيمن نزلت الآية وما سبب قصتها، فهي تصور وتقص علينا صورة تتكرر في كل زمان ومكان، ولنأخذ من الآية العبرة والموعظة.

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص345.

[2] لباب النقول للسيوطي، ضعيف/157، والسلسلة الضعيفة للألباني، ضعيف جداً/4081.

المطلب السادس: القراءات القرآنية.

إنَّ لِكلِّ لغةٍ من لغات العالم لَهَجاتٍ متعددة، والعرب في زمن النبوة كانوا كالعرب اليوم، متعددي اللهَجات، فلكل منطقة لها لهجتها التي تتميزُ بها، فبعض أهل هذه اللهجات مثلاً، يقول: (بئر) ومنهم من يقول: (بير)، ومنهم من يقول: (المؤمنين)، ومنهم من يقول: (المومنين)، ولو طلبت من كل قبيلة أن تتركَ لهجتها وتتكلم بلهجة قريش لَصعُب عليهم ذلك، فهذه القراءات على لهجات العرب، فكلها شافية كافية، فرحمةً بالأمة، ولتنوع لهجاتها أبيحت هذه اللهجات، التي أصبح لها قرّاء يقرأون بها، فسميت باسم هؤلاء القرّاء، كحفص، ونافع.. وغيرهم.

ولقد كان منهج ابن السعدي في تفسيره، عدم الغوص في التفاصيل من لغةٍ، وبلاغةٍ، وقراءاتٍ قرآنية، فهو لايوثّق القراءة القرآنية بذكر صاحبها، إنَّما يُبْهم ويقول: قرىء بكذا وكذا.

كما ذكر ابن السعدي في تفسيره لقوله تعالى: "﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة 6/5)، الأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين، ويقال فيهما ما يقال في اليدين...

فيها الرد على الرافضة، على قراءة الجمهور بالنصب، وأنَّه لا يجوز مسحهما ما دامتا مكشوفتين... فيه الإشارة إلى مسح الخفين، على قراءة الجر في ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾، وتكون كل من القراءتين، محمولة على معنى، فعلى قراءة النصب فيها، غسلهما إن كانتا مكشوفتين، وعلى قراءة الجر فيها، مسحهما إذا كانتا مستورتين بالخف".[1]

فذكر ابن السعدي في تفسيره لآية الوضوء في سورة المائدة، أنَّ القراءة الأولى بالنصب والتي يعود الضمير فيها إلى غسل اليدين، وأمَّا بقراءة الجر فذكر أنَّها محمولة على المسح على الخفين، وقد ذكر ابن السعدي أن الاستدلال بقراءة النصب رداً على الروافض، وأقول بقراءة النصب والجر ردٌ عليهم.

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص222-223.

(خاتمة الفصل)

لقد ذكرت في هذا الفصل منهج ابن السعدي في التفسير بالمأثور، وأنه أهم مناهج التفسير عند ابن السعدي وعند من سبقه من المفسرين.

وذكرت عَلاقة ابن السعدي مع عِلمِ عُلومِ القرآن، وكما معلوم أنَّ مادة علوم القرآن من أهمِّ القواعد التي يستند إليها المفسر لآيٍ القرآن الكريم، وأنَّهُ كانَ لهُ رأيهُ، واستدلاله المعْتبر، والذي قد يُخالف به الجمهور

وبينت أسباب النزول، وأنَّ جمهورَ المفسرين قد أجمعوا تقريباً على أنَّ العبرةَ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وعرضت فواتح السور، وأنَّها من دلائل إعجاز القرآن الكريم، وأنَّها اشتملت على براعة استهلالٍ معجزٍ في نظمه، موضحٍ وممهدٍ لما بعده. وإنَّ الإسرائيليات قد أفرط بعض المفسرين في كثرة الأخذ عن أهل الكتاب في التفسير، بينما كانت المدرسة النجدية في التفسير بصورة عامة، وابن السعدي بصورة خاصّة من الحَذِرين في الأخذ من أهل الكتاب. وذكرت عِلم الناسخ والمنسوخ، وبينت أهميته، ورأي ابن السعدي في الآيات التي قيل إنَّها منسوخة، وقد وافق الجمهور وخالفهم ببعضها بعدم نسخها، وإنه قد جانب الصواب في بعض استدلالته، وأتى بالأدلة الموضحة لرأيه المبينة لعَدَمِ النسخ. وكيف تعامل ابن السعدي مع قصص القرآن، بتبيانها، وأخذ الفوائد العقدية، والفقهية والسلوكية منها. ثم ذكرت القراءات القرآنية، وكيف تعامل معها، بإثراء المعنى القرآني، وقد بينت أنَّه لم يكن يشير إلى صاحب القراءة، لكنه فقط يقول وقد قرء بكذا وكذا.

الفصل السادس

منهج ابن السعدي في التفسير لآيات التوحيد والفقه

لمعرفة توجه، وطريقة، وأسلوب أي مفسرٍ لا بد من أخذ عيّنة مما فسره، في كل قسمٍ من أقسام الموضوعات القرآنية، لنُدْرك كيف نظر وحلَّل النص القرآني المعْجز، ونقولُ ونكرر دائماً، أنَّه مهما أوتيَ المفسر من علمٍ، وفقهٍ، ودرايةٍ، فإنَّه لا يستطيع الإحاطة بمجموع ما تحتويه الآية من معانٍ وأسرار وحِكَمْ، لأنه وحي الله العزيز الحكيم، لكنَّه قد يقترب من بعضها، ويبتعد عن البعض أحياناً.

وإنَّ خير من يرشد إلى طريقة ومنهج ابن السعدي في التفسير، هو ابن السعدي نفسه، فذكر في مقدمة تفسيره، ذلك فقال: "اعلم أن طريقتي في التفسير أنِّي أذكر عند كل آية ما يحضرني من معانيها، ولا أكتفي بذكري ما تعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة، لأنَّ الله وصف هذا الكتاب أنَّه (مثاني) تثنى فيه الأخبار والقصص والأحكام، وجميع المواضيع النافعة لحكمٍ عظيمةٍ، وأمره بتدبره جميعه، لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف وصلاح الظاهر والباطن، وإصلاح الأمور كلها"[1] وقد كان تفسيره كما قال.

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص27.

المبحث الأول: التوحيد في تفسير ابن السعدي.

إنَّ الله بعث الرسل والأنبياء، ليوحدوه وليخلصوا له الدين، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (النحل 36/16)، ورسالة الإسلام التي أرسل نبينا محمد ﷺ إلى النّاس كافة جاءت على هذا المنهج، لأنَّ الربَّ واحد؟ فالذي بعث نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، هو الذي بعث خاتم النبيين محمداً ﷺ برسالة التوحيد.

وقد لخص ابن السعدي أمر التوحيد وأشار إلى أهميته بكلام عظيم يخط بماء الذهب، وأيضاً يبين حرص المدرسة النجدية على أمر التوحيد، وكثرة تناوله في مؤلفاتها التفسيرية والشرعية الأخرى، فقال: "وكلَّما كانت المسائل أجلّ وأكبر، كانت الدلائل عليها أكثر وأيسر، فانظر إلى التوحيد لما كانت مسألته من أكبر المسائل، بل هي أكبرها، كثرت الأدلة عليها العقلية والنقلية وتنوعت، وضَرَب الله لها الأمثال وأكثر لها من الاستدلال".[1]

وقد تناول الشيخ السعدي التوحيد في تفسيره وأعطاه من الأهمية والمكانة في شرحه للآيات وتفسيره لها، لأهمية التوحيد في حياة المسلم، ولأنَّ هذه المدرسة التي ينتمي لها هي مدرسة التوحيد، فَجُلُّ دُرُوسها، وجُل مصنفاتها في هذا الجانب، وقد تناولت هذا الموضوع في الفصل الثاني من هذا البحث بشيء من التفصيل.

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص734.

المطلب الأول: توحيد الألوهية.

أي: "بأنه وحده الإله الحق لا شريك له، و (الإله) بمعنى (المألوه) أي: المعبود حباً وتعظيماً، وكل من اتخذ إلها مع الله يُعبد من دون الله فألوهيته باطلة".[1]

وقد أفاد ابن السعدي وأجاد في هذا الباب، وذكر البراهين العقلية والنقلية الدالة على ذلك، بشكل متوازن، دون زيادة جانب على جانب، وسوف أوضح ذلك بالمثال التالي:

في تفسيره لقوله تعالى: "﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران 6/3)، وإفراده بالعبودية قد دلت عليه الأدلة النقلية والعقلية، حتى صار لذوي البصائر أجْلى من الشمس، فأمَّا الأدلة النقلية فكلُّ ما في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، من الأمر به، وتقريره، ومحبة أهله، وبغض من لم يقم به، وعقوباتهم، وذم الشرك وأهله، فهو من الأدلة النقلية على ذلك، حتى كاد القرآن أن يكون كلّه أدلة عليه، وأمَّا الأدلة العقلية التي تُدرَك بمجرد فكر العقل وتصوره للأمور فقد أرشد القرآن إليها ونبه على كثير منها، فمن أعظمها: الأعتراف بربوبية الله ، فإنَّ من عَرَفَ أنَّه هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، أنتج له ذلك أنَّه هو المعبود الذي لا ينبغي العبادة إلَّا له، ولما كان هذا من أوضح الأشياء وأعظمها أكثر الله تعالى من الاستدلال به في كتابه.

ومن الأدلة العقلية على أنَّ الله هو الذي يُؤله دونَ غيره انفراده بالنعم ودفع النقم، فإنَّ من عرف أنَّ النِعَم الظاهرة والباطنة القليلة والكثيرة كلها من الله، وأنَّه ما من نقمة ولا شدَّة ولا

[1] محمد صالح العثيمين، *شرح أصول الإيمان*، دار الوطن للنشر، الرياض ط1 1410، ص21.

كُربة إلا وهو الذي ينفرد بدفعها وإنَّ أحداً من الخَلْق لا يملك لنفسه –فضلاً عن غيره– جلب نعمة ولا دفع نقمة، تَيَقَّنَ أنَّ عبودية ما سوى الله من أبطل الباطل، وأنَّ العبودية لا تنبغي إلَّا لمن انفرد بجلب المصالح ودفع المضار".[1]

قد ذكر ابن السعدي الأدلة العقلية والنقلية الدالة على إفراد الله بالعبودية، وأذكر قسماً ثالثاً دالاً على ذلك:

التفكر والنظر في مخلوقات الله: وهو أيضاً من أعظم الأدلة على وحدانية الله، والسير في الأرض لمعرفة صنع الله الخالق البديع، الذي أحسن كل شيء خَلَقَه، وهو من أعظم الأدلة على انفراده بالعبودية دون سواه. فَكَمْ من الآيات التي كان مطلعها، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ (الروم 42/30)، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (الغاشية 17/88).

المطلب الثاني: توحيد الربوبية.

أي: "بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين، والرب: من له الخلق والملك والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أَمر إلا له".[2]

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص125.

[2] محمد صالح العثيمين، *شرح أصول الإيمان*، دار الوطن للنشر، الرياض ط1 1410، ص19.

وقد أقرَّ به المشركون زمن النبي ﷺ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف 9/43)، بل لقد أقرَّ به إبليس، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الحِجر 36/15).

وقد كانت طريقة ابن السعدي في ذكره لتوحيد الربوبية في تفسيره لآيات القرآن الكريم، التركيز على دلالاتها التي تدل على تَفَرُّد الباري سبحانه بالربوبية، وذكر أيضاً أنَّ هذا النوع من التوحيد لا يُنْجي صاحبه، إذا لم يَقْرِن بتوحيد العبادة، لأنَّ توحيد الربوبية قد كان مشركي قريش مُقرّين به ويعرفونه أكثر مما يعرفه جُهّال هذا الزمان، وسوف أوضح ذلك بالمثال التالي:

في تفسيره لقوله تعالى: "﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة 2/1)، الرب: هو المربي جميع العالمين -وهم ما سوى الله- بخلقه لهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها لم يُمْكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة فمنه تعالى. وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة.

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لِمْا فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربّيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمِّلَه لهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكلِّ خير، والعصمة من كلِّ شر، ولعلَّ هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإنَّ مطالبهم كلها داخلة تحت

ربوبيته الخاصة. فدل قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، على انفراده بالخلق والتدبير والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار".[1]

ذكر ابن السعدي في تعريفه العميق للرب: بأنَّه الذي يقوم على غيره من عنايةٍ وملكٍ وتدبيرٍ ورعايةٍ، فهو تَطْمين من الذات العليه لخلقه أجمعين، بأنَّه ربهم وخالقهم ورازقهم والقائم على شؤونهم. وقد قسم ابن السعدي تربيته تعالى لخلقه إلى نوعين، وهناك تربية أخرى ونوع آخر أضيفه، تربية **خاصة أخص**: وهي للخُلَّص والمصطفين من أوليائه الصالحين، من أنبياء وأولياء وصالحين، ففي هذه التربية؛ كمال الاصطفاء والمحبة والهداية والرزق.

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

أي "إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ".[2]

لا شك أنَّ لتدبرِ الأسماءِ والصفاتِ المتعلقة بالله تعالى، وفهمها على مراد الله تعالى (لا على مراد الخلق)، له الأثر العظيم والعميق على سلوك العبد في سيره إلى الله.

وقد صنف وبحث علماء الأمة قديماً وحديثاً في هذا الباب من أبواب التوحيد، وألَّفوا في ذلك العديد من المؤلفات النافعة، والرد على من أنكرها، أو أنكر بعضها، أو حرَّفها وعطلها.

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص39.

[2] محمد صالح العثيمين، *شرح أصول الإيمان*، دار الوطن للنشر، الرياض ط1 1410، ص23.

وإنَّ معرفة الله والعلم به من أجلّ العلوم التي ينبغي للعبد أن يعلمها، فكلما زاد العبد معرفة بربه زاد منه خشيةً ومحبةً وخوفاً ورجاءً.

ولقد كان منهج ابن السعدي في الأسماء والصفات هو منهج أهل السُنَّة والجماعة من سلف هذه الأمة من صحابة وتابعين ومن تبعهم، وهو منهج القرون المفضلة، وهو إثباتها كما أثبتها هو سبحانه لنفسه في كتابه، وكما أثبتها رسوله ﷺ في سنته المطهرة، وكما فهمها سلفُ هذه الأمة، بإجرائها على ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه، ولا كيفية، وسوف أوضح ذلك بالمثال التالي:

في تفسيره "لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (البقرة 210/2)، وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السُنَّة والجماعة، المُثْبِتين للصفات الاختيارية، كالاستواء والنُّزول والمجيء، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه، أو أخبر بها عنه رسوله ﷺ فيثبتونها على وجهٍ يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف، خلافاً للمعطّلة على اختلاف أنواعهم، من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، ونحوهم ممن ينفي هذه الصفات، أو ينفي بعضها، ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان، بل حقيقتها القدح في بيان الله وبيان رسوله ﷺ، والزعم بأنَّ كلامهم هو الذي تَحْصُل به الهداية في هذا الباب، فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي، بل ولا دليل عقلي.

أمَّا النقلي فقد اعترفوا أنَّ النصوص الواردة في الكتاب والسُنَّة، ظاهرها بل صريحها، دالٌّ على مذهب أهل السُنَّة والجماعة، ولأنَّها تحتاج لدلالتها على مذهبهم الباطل؛ أن تَخْرُج عن ظاهرها، ويُزاد فيها ويُنقص، وهذا كما ترى لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان.

وأمَّا العقل، فليس في العقل ما يدُلُّ على نفي الصفات، بل العقل دلَّ على أنَّ الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل، وأنَّ فعله تعالى المتعلق بِخَلْقِه هو كمال، فإن زعموا أنَّ إثباتها يدُلُّ على التشبيه بخلقه، قيل لهم: الكلام على الصفات يَتبع الكلام على الذات، فكما أنَّ لله ذاتاً لا تشبهها الذوات، فلله صفات لا تشبهها الصفات، فصفاته تَبَعٌ لذاته، وصفات خَلْقِه تَبَعٌ لذواتهم، فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه".[1]

ذكر ابن السعدي هنا في تفسيره للآية الكريمة، وعبَّرَ عن مذهب أهل السُنَّة في الصفات الاختيارية، أو الفعلية، كالاستواء والمجيء والنزول والإحياء والإماتة، وهو بإثبات الصفات الاختيارية المتعلقة بالله تعالى وبمشيئته، إثباتاً يليق بجلاله تعالى إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، أي أنَّها تقيد بالمشيئة، خلافاً للمشبهة والمعطلة، الذين كانوا على طرفي نقيض.

وذكر ابن السعدي أن إثبات الذات لرب العالمين هو إثبات وجود لا إثبات كيفية وتمثيل، وكذلك إثبات الصفات، هو إثبات وجود لا إثبات كيفية وجهة وتحديد، فلا نعطلها أو نحرفها باليد على القدرة، وبالمجيء على الرحمة، ولا نشبهها بجارحة من جوارح الخلق، بل نجُريها على ظاهرها مع اعتقادها.

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص95.

المبحث الثاني: التفسير الفقهي عند ابن السعدي.

لقد كانَ الشيخُ السعدي عالماً وفقيهاً مجتهداً فاق عصره ومعاصريه من المشايخ والعلماء، وهذه ليس مبالغة أذكرها من باب الإطراء، ولكنَّها حقيقة واضحة جليّة، لها شواهد عديد، وهذا التميز والسبق أدركه بأمور:

1- بإخلاصه في طلب العلم وبذله وقته كله له، والصبر على تتبع مسائله، وعدم الركون والتسليم لكل ما بُحِث مما يَحِقُّ الاجتهاد به.

2- بانفتاحه على العالم من حوله، وأخذ كُلُّ ما هو مفيد وجديد في مناحي الحياة.

3- سَعة اطلاعه على ما استجد في وقته من مسائل علمية وفقهية، ومشاركته واطلاعه وتواصله مع العديد من المجلات العلمية والشرعية.

لقد كان ابن السعدي حَنْبَلِيُ المذهب، وكان ملتزماً به في بداية حياته، ثم أخذ يميل إلى ترجيح بعض المسائل وعدم التقيد به، عندما يرى الصوابَ في غيره.

وهنا أذكر أن ابن السعدي كان في بداية حياته ملتزماً بالمذهب الحنبلي، وهذا الذي على طالب العلم المبتدىء أن يعمله ويحرص عليه، أن يلتزم بمذهب وبعد أن يتمكن من العلم ومن أدواته ينتقل إلى مرحلة الاجتهاد والتحرر والنظر، وعدم القفز، وأعني به، كما يعمل الآن الكثير من طلاب العلم، وهو التحرر والاجتهاد قبل تمكنهم من العلم، ومع عدم توفر الأدوات لديهم، فتراهم ضلوا، وأضلوا؟

وحرصه على التيسير في القضايا الفقهية، وفهمه للواقع، يدلُّ على علمهِ الغزير، وفهمهِ الصحيح، وكثرة اطلاعه، ما أهَّله للاجتهاد في الكثير من القضايا الفقهية، التي ما كان أحدٌ في زمانه وفي بيئته يتجرأ بالخوض فيها.

المطلب الأول: فقه العبادات.

إنَّ الرجل ابن بيئته، يتأثر بها، ويؤثر فيها، ولا شك أنَّ للعبادات، وطريقة الفقيه في تعامله مع النص القرآني الدال عليها، دلالة واضحة على تمكنه وسعة علمه، وكثرة اطلاعه، وهكذا كان ابن السعدي، نموذجاً واضحاً، للفهم، والرفق، وبعد النظر، والتعامل مع دلالة النص وروحه، أكثر من تعامله مع لفظه وإعرابه وبلاغته.

- **الصلاة.**

لقد كان للشيخ السعدي وقفات جليلة ومفيدة للصلاة في تفسيره، فكانَ تركيزُهُ ليس فقط على أركانها وهيئتها، بل على أثرها على أفعال العباد، وسوف أوضح ذلك بالمثال التالي:

في تفسيره لقوله تعالى: "﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة 43/2)، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، اي: ظاهراً وباطناً، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، لمستحقيها، ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، أي: صلوا مع المصلين، فإنَّكم إذا فعلتم ذلك مع الإيمان برسل الله وآيات الله، فقد جمعتم بين الأعمال الظاهرة والباطنة، وبين الإخلاص للمعبود والإحسان إلى عبيده، وبين العبادات القلبية والبدنية والمالية.

وقولـه: ﴿وَارْكَعُـوا مَـعَ الـرَّاكِعِينَ﴾، أي: صـلوا مـع المصـلين، ففيـه الأمـر بالجماعـة للصـلاة ووجوبهـا، وفيـه أنَّ الركـوع ركـنٌ مـن أركـان الصـلاة لأنَّـه عـبر عـن الصـلاة بالركـوع، والتعبـير عـن العبـادة بجزئهـا يدلُّ على فرضيته".[1]

ذكـر ابـن السـعدي في تفسـيره لهـذه الآيـة الكريمـة، واسـتدل بهـا علـى وجـوب صـلاة الجماعـة، من قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، وهي مسألة خلافية بين أهل العلم.[2]

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص51.

[2] فالمتتبع لأقوال أهل العلم يجدها على ثلاثة أقوال:

1- "الـذي عليـه الجمهـور أنَّ صـلاة الجماعـة مـن السُـنَن المؤكـدة، ويجـب علـى مـن أدمـن التخلـف عنهـا مـن غـير عـذر العقوبة.

2- وقـد أوجبهـا بعـض أهـل العلـم فرضـاً علـى الكفايـة. قـال ابـن عبـد الـبر: وهـذا قـول صـحيح، لإجمـاعهم علـى أنَّـه لا يجـوز أن يُجْتَمع على تعطيل المساجد كلها من الجماعات، فإذا قامت الجماعة في المسجد؛ فصلاة المنفرد في بيته جائزة...

3- وقـال داود: الصـلاة في جماعـة فـرض علـى كـلِّ أحـدٍ في خاصـته، كالجُمُعـة... وقـال الشـافعي: لا أرخِّـصُ لمـن قـدر علـى الجماعـة في تـرك إتيانهـا إلَّا مـن عـذر". محمـد بـن أحمـد القـرطبي، الجـامع لأحكـام القـرآن، مؤسسـة الرسـالة، بـيروت 2006، ج2، ص31-32.

أمَّـا القـول الـراجح في المسـألة مـا عليـه الجمهـور وهـي مـن السُـنن المؤكـدة ويؤيـد ذلـك مـا رواه مسـلم قـال: حـدّثنا أبـو بَكـرِ بـنُ أبي شَـيْبَة حـدّثنا الفَضْـلُ بـن دُكَـيْن عـن أبي العُمـيس عـن علـي بـن الأقمَـر عـن أبي الأحْـوص، عَـنْ عبـدِ اللهِ، قـالَ: «مَـن سَـرَّهُ أَنْ يَلْقَـى اللَّهَ غَـدًا مُسْـلِمًا، فَلْيُحَـافِظْ علَـى هَـؤُلَاءِ الصَّـلَوَاتِ حَيْـثُ يُنَـادَى بِهِـنَّ، فـإنَّ اللَّهَ شَـرَعَ لِنَبِـيِّكُمْ صَـلَّى اللَّهُ عليـه وسـلَّمَ سُـنَنَ الهُـدَى، وإِنَّهُـنَّ مِـن سُـنَنَ الهُـدَى، ولـو أَنَّكُـمْ صَـلَّيْتُمْ في بُيُـوتِكُمْ كما يُصَـلِّي هـذا المتَخَلِّـفُ في بَيْتِـهِ، لَتَرَكْـتُمْ سُـنَّةَ نَبِـيِّكُمْ، ولـو تَـرَكْتُمْ سُـنَّةَ نَبِـيِّكُمْ لَضَـلَلْتُمْ، وَمـا مِـن رَجُـلٍ يَتَطَهَّـرُ فيُحْسِـنُ الطُّهُـورَ، ثُمَّ يَعْمِـدُ إلى مَسْـجِدٍ مِـن هـذِهِ المسَـاجِدِ، إلَّا كَتَـبَ اللَّهُ لـه بكُـلِّ خَطْـوَةٍ يَخْطُوهَـا حَسَـنَةً، وَيَرْفَعُـهُ بهَـا دَرَجَـةً، وَيَحُـطُّ عنْـه بهَـا سَـيِّئَةً، وَلقَـدْ رَأَيْتُنَـا وَمـا يَتَخَلَّـفُ عَنْهَـا إلَّا مُنَـافِقٌ مَعْلُـومُ النِّفَـاقِ، وَلقَـدْ كـانَ الرَّجُـلُ يُـؤْتَى بـه يُهَـادَى بـيْنَ الـرَّجُلَيْنِ حـتَّى يُقَـامَ في الصَّـفِّ». مسـلم بـن الحجـاج النيسـابوري، *صـحيح مسـلم*، دار الكتـب العلميـة، بـيروت 1991، كتـاب المسـاجد ومواضـع الصـلاة باب الصـلاة في جماعـة مـن سـنن الهـدى، رقـم الحـديث 654-257، 1\452. "قـال القاضـي عيـاض: اختُلِـف في التمـالؤ علـى تـرك ظـاهر السُـنن: هـل يُقاتـل عليهـا أم لا، والصـحيح قتـالهم؛ لأنَّ التمـالؤ عليهـا إماتتهـا. قلـت: فعلـى هـذا إذا أقيمـت السُـنَّة وظهـرت، جـازت صـلاة المنفـرد وصـحت". محمـد بـن أحمـد القـرطبي، *الجـامع لأحكـام القـرآن*، مؤسسـة الرسالة، بيروت 2006، 2\34.

وقول ابن السعدي في هذه المسألة مرجوح، وأنها من السنن المؤكدة لعموم الأدلة في ذلك، وهو قول الجمهور، وهذا رأيه في هذه المسألة، رحم الله الجميع.

- **الزكاة.**

لقد كان لابن السعدي وقفات جليلة ومفيدة من خلال تعليقه وتفسيره لآيات الزكاة، فيقول: "والزكاة والنفقة متضمنة للإحسان على عبيده، فعنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود، وسعيه في نفع الخلق"،[1] فيذكر أنَّ أداء الزكاةِ من سعادة العبد المسلم في الدنيا، وليست هي ضريبة تؤخذ منه، وسوف أوضح ذلك المثال التالي:

في تفسيره لقوله تعالى: "﴿وَهُوَ الَّذي أَنشَأَ جَنّاتٍ مَعروشاتٍ وَغَيرَ مَعروشاتٍ وَالنَّخلَ وَالزَّرعَ مُختَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيتونَ وَالرُّمّانَ مُتَشابِهًا وَغَيرَ مُتَشابِهٍ كُلوا مِن ثَمَرِهِ إِذا أَثمَرَ وَآتوا حَقَّهُ يَومَ حَصادِهِ وَلا تُسرِفوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المسرِفينَ﴾ (الأنعام 141/6)، ﴿إِذا أَثمَرَ وَآتوا حَقَّهُ يَومَ حَصادِهِ﴾، أي: أعطوا حق الزرع، وهو الزكاة ذات الأنصباء المقدرة في الشرع، أمرهم أن يعطوها يوم حصادها، وذلك لأنَّ حصاد الزرع بمنزلة حولان الحول، لأنَّه الوقت الذي تتشوف إليه نفوس الفقراء، ويسهل حينئذ إخراجه على أهل الزروع، ويكون الأمر فيها ظاهراً لمن أخرجها، حتى يتميز المخرج ممن لا يخرج.

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص41.

وقوله: ﴿لا تُسرِفوا﴾، يعم النهي عن الإسراف في الأكل، وهو مجاوزة الحد والعادة، وأن يأكل صاحب الزرع أكلا يضر بالزكاة، والإسراف في إخراج حق الزرع بحيث يُخرج فوق الواجب عليه، ويضر نفسه أو عائلته أو غرماءه، فكل هذا من الإسراف الذي نهى الله عنه، الذي لا يحبه الله بل يبغضه ويمقت عليه.

وفي هذه الآية دليل على وجوب الزكاة في الثمار، وأنَّه لا حول لها، بل حولها حصادها في الزروع، وجذاذ النخيل، وأنَّه لا تكرر فيها الزكاة، لو مكثت عند العبد أحوالاً كثيرة، إذا كانت لغير التجارة، لأنَّ الله لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده.

وأنَّه لو أصابها آفة قبل ذلك بغير تفريطٍ من صاحب الزرع والثمر، أنَّه لا يضمنها، وأنَّه يجوز الأكل من النخل والزرع قبل إخراج الزكاة منه، وأنَّه لا يحسب ذلك من الزكاة، بل يزكي المال الذي يبقى بعده.

وقد كان النبي ﷺ يبعث خارصاً يخرص للناس ثمارهم، ويأمره أن يدع لأهلها الثلث، أو الربع، بحسب ما يعتريها من الأكل وغيره من أهلها وغيرهم".[1]

ذكر ابن السعدي في تفسيره لهذه الآية الكريمة، بإعطاء حق الزكاة في الثمار يوم حصادها، ولم يذكر خلاف العلماء كعادته، وهل الآية الكريمة تُشير إلى الزكاة المفروضة؟ أم صدقة غير الزكاة المفروضة؟ بل ذكرَ القول الراجح في المسألة ولم يتشعب في ذلك.

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص267.

وذكرَ ابن السعدي في تفسيره ﴿لا تُسرِفوا﴾، متعلق بصاحب المال، من أن يسرف في أكل ماله قبل إخراج زكاته، أو أن يسرف في إجحاف من يعول بأخذ الكثير منه. فأقولُ هنا إنَّ الإسرافَ أعمّ من تخصيصه بصاحب المال، فيتعلق أيضاً بالخارص الذي يخرص المال، أو بولي الأمر الذي يأمر بذلك، فهي عامة في كل ذلك.

- **الصوم.**

لقد كان لابن السعدي وقفات في آيات الصيام، وربطها بمصلحة العباد، في دنياهم وآخرتهم، وأنَّها من أكبر أسباب التقوى، الجالبة لكل خير، المعرضة عن كل شر، وسوف أوضح ذلك بالمثال التالي:

في تفسيره لقوله تعالى: "﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة 187/2)، هذا غاية للأكل والشرب والجماع، وفيه أنَّه إذا أكل ونحوه شاكاً في طلوع الفجر فلا بأس عليه.

وفيه: دليل على استحباب السحور للأمر، وأنَّه يُستحب تأخيره أخذاً من معنى رخصة الله وتسهيله على العباد.

وفيه: أيضاً دليل على أنَّه يجوز أن يدركه الفجر وهو جُنُب من الجماع قبل أن يغتسل، ويصح صيامه، لأنَّ لازم إباحة الجماع إلى طلوع الفجر، أن يدركه الفجر وهو جُنُب، ولازم الحق حق.

﴿ثُمَّ﴾، إذا طلع الفجر ﴿أَتِمُّوا الصِّيَامَ﴾، أي: الإمساك عن المفطرات ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾، وهو غروب الشمس، ولما كان إباحة الوطء في ليالي الصيام ليست إباحته عامة لكل أحد، فإن المعتكف لا يحل له ذلك".[1]

ذكر ابن السعدي لتفسيره لهذه الآية الكريمة، أن غاية الأكل والشرب والجماع هو طلوع الفجر،"وقد اختلف أهل العلم في حكم الشاك في الفجر، فذكر أبا يوسف في الإملاء أنَّ أبا حنيفة قال: يدع الرجل السحور إذا شك في الفجر أحب إلي، فإن تسحر فصومه تام".[2]

وذكر إلى استحباب السحور لحديث أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «تَسَحَّرُوا فإنَّ في السَّحُورِ بَرَكَةً»[3]

وذكر أنَّه يجوز للصائم أن يدركه الفجر وهو جُنُب من جماع أهله، وذكر أنَّ إباحة الوطء لا تشمل المعتكف.

المطلب الثاني: فقه المعاملات.

وهي"الأحكام الشرعية المتعلقة بأمر دنيوي مما يكون التعامل فيه قائماً على تبادل الأموال والممتلكات"[4].

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص87.

[2] أبي بكر أحمد بن علي الجصاص، *أحكام القرآن*، دار إحياء التراث، بيروت 1992، 1\286.

[3] محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، جمعية البشرى الخيرية، كراتشي 2016، كتاب الصوم، باب بركة السحور، رقم الحديث 1923، ص952.

[4] عبد الرحمن بن حمود المطيري، *فقه المعاملات المالية الميسر*، جامعة الكويت، الكويت ط2 2016، ص15.

فمعرفة الأحكام الشرعية من الفقه في الدين، ولا شك أنَّ ركنَ الفقهِ الأعظم الدليل، من الكتاب والسُنةَّ، وحاجتنا للدليل في الفقه حاجة كبيرة، لأنَّ في الفقه يكثر فيه الخلاف، وأنَّ فقه الأئمة المعتبرين (كالأئمة الأربعة) هو فقه الدليل. ولنعلم أن من خالف الدليل بحسب نظره من الأئمة مجتهد معذور مأجور، فنعرف للعلماء فضلهم، ونعرف للدليل منزلته، فلا نترك الدليل من أجل فضل أحد، ولا نبخس فضل أحد من العلماء من أجل الدليل.

- **الرِّبا.**

"الربا في اللغة الزيادة مطلقاً؛ يقال: رَبَا الشيءُ يربو: إذا زاد... والربا الذي عليه عُرْفُ الشرع شيئان: تحريم النَّسَاءِ، والتفاضلُ في النقود وفي المطعومات... وغالبه ما كانت العرب تفعله من قولها للغريم: أتقضي أم تُربي؟ فكان الغريم يزيد في عدد المال، ويصبر الطالب عليه. وهذا كله محرم باتفاق الأمة"،[1] وسوف أوضح ذلك بالمثال التالي:

في تفسيره لقوله تعالى: "﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة 275/2). يُخبر تعالى عن أكلة الرِّبا وسوء مألهم وشدة منقلبهم، أنَّهم لا يقومون من قبورهم ليوم النشور، ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾، أي: يصْرَعُه الشيطان بالجنون، فيقومون من قبورهم حيارى سُكارى مضطربين، متوقعين لعظيم

[1] محمد بن أحمد القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، مؤسسة الرسالة، بيروت 2006، 4\381-382.

النكال وعُسر الوبال...أنَّه لما أنسلبت عقولهم في طلب المكاسب الربوية خَفَّت أحلامهم وضَعُفت أراؤهم، وصاروا في هيئتهم وحركاتهم يُشْبَهون المجانين في عدم انتظامها وانسلاب العقل الأدبي عنهم".[1]

ذكر ابن السعدي في تفسيره لهذه الآية الكريمة، فوصفهم بما يلي: فكما أنَّ المجنون، ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾، والمسّ بلاءٌ على عقل الإنسان، فكذلك الرِّبا بلاءٌ على النظام الاقتصادي، على الرغم مما يُروَّج له، ويُزيّن به، على أنَّه مساعدٌ للنظام الاقتصادي، وقد ذكر ابن السعدي ووصفهم بالمسِّ عند نشورهم من قبورهم، وفي الدنيا بطريقة تعاملهم مع الناس، وإن كان سياق الآية يوحي لك من وصفها أنَّه حالهم في الدنيا هو ذلك.

فعند فقدان العقل وانسلابه، يخف الحلم والعقل والرزانة، فهو حالهم لما غطّت شَهْوة المال على ضمائرهم خفَّت عقولهم وأحلامهم.

وأصبحوا في حركاتهم وتصرفاتهم كالمجانين، فيعرفهم كل من استقرَّ الإيمان في قلبه، ويَنْخدِع بهم كلُ من نظر للأمور نظرتها السطحية الدنيوية، ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (القصص 79/28).

وقد قسم ابن السعدي الربا إلى نوعين: "﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾، لما فيه من الظلم وسوء العاقبة، والرِّبا نوعان:

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص117.

– ربا نسيئة: كبيع الرِّبا بما يُشاركه في العلة نسيئة، ومنه جعل ما في الذمة رأس مال، سلَمْ.

– ربا فضل: وهو بيع ما يجري فيه الرِّبا بجنسه متفاضلاً.

وكلاهما مُحرَّم بالكتاب والسُنَّة، والإجماع على ربا النسيئة، وشذَّ من أباح ربا الفضل، وخالف النصوص المستفيضة، بل الرِّبا من كبائر الذنوب وموبقاتها".[1]

وذكر ابن السعدي في تفسيره لقوله تعالى: "﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، اختلف العلماء رحمهم الله في نصوص الوعيد التي ظاهرها تخليد أهل الكبائر من الذنوب التي دون الشرك بالله، والأحسن فيها أن يُقال هذه الأمور التي رتَّبَ الله عليها الخُلود في النَّار موجبات ومقتضيات لذلك، ولكن الموجب إن لم يوجد ما يمنعه ترتب عليه مُقتضاه، وقد عُلم بالكتاب والسُنَّة وإجماع سلف الأمة أنَّ التوحيد والإيمان مانع من الخلود في النار، فلولا ما مع الإنسان من التوحيد لصار عمله صالحاً للخلود فيها بقطع النظر عن كفره".[2]

ذكر ابن السعدي في عموم تفسيره لهذه الآية الكريمة، مآل أصحاب الكبائر (ومنهم أكلوا الرِّبا) في الآخرة وهو تعبيرٌ عن مذهب أهل السُنَّة والجماعة في ذلك، وأنَّ التوحيد مانعٌ لخلود أصحابه في النار، بخلاف المعتزلة الذين يرون أنَّ مرتكب الكبيرة مُخلد فيها "﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وهذا دليل بيّن على تخليد الفُسّاق".[3]

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص117.

[2] المصدر السابق، ص117.

[3] محمود بن عمر الزمخشري، *الكشاف*، مكتبة مصطفى البابي وأولاده، القاهرة 1966، 1\400.

المطلب الثالث: فقه الأحوال الشخصية.

"يقصد بالأحوال الشخصية الأوضاع التي تكون بين الإنسان وأسرته، وما يترتب على هذه الأوضاع من آثار حقوقية والتزامات أدبية أو مادية...بأنها مجموعة القواعد القانونية التي تنظم علاقات أفراد الأسرة أي بوصفهم أعضاء في أسرة واحدة تجمعهم علاقات النسب والمصاهرة".[1]

وهو مصطلح لم يكن معروفاً قديماً عند فقهاء المسلمين، لكنَّه معروف بمدلوله، فإذاً هو مصطلح حديث الاستعمال في مجال الفقه الإسلامي، وسوف أوضح ذلك بالأمثلة التالية:

- **معنى العدل في الزواج.**

في تفسير قوله تعالى: "﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء 129/4).

يخبر تعالى: أنَّ الأزواج لا يستطيعون، وليس في قدرهم العدل التام بين النساء، وذلك لأنَّ العدل يستلزم وجود المحبة على السوء، والداعي على السواء، والميل في القلب إليهن على السواء، ثم العمل بمقتضى ذلك. وهذا متعذر غير ممكن، فلذلك عفا الله عما لا يستطاع، ونهى عمّا هو ممكن بقوله: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ أي: لا تميلوا ميلاً كثيراً بحيث لا تؤدون حقوقهن الواجبة، بل افعلوا ما هو باستطاعتكم من العدل.

[1] محمود السرطاوي، *فقه الأحوال الشخصية*، جامعة القدس المفتوحة، عمان ط2 2012، ص8.

فالنفقة والكسوة والقسم ونحوها، عليكم أن تعدلوا بينهن فيها، بخلاف الحب والوطء ونحو ذلك، فإن الزوجة إذا ترك زوجها ما يجب لها، صارت كالمعلقة التي لا زوج يقوم بحقوقها".[1]

ذكر ابن السعدي في تفسيره لهذه الآية الكريمة، واستدل على بعض ما فيها من أحكامٍ جليلةٍ، وذكر أنَّ العدل هنا بمعنى العدل القلبي، وهو الحب وهذا هو المتعذر؟ وألْحَقَ ابن السعدي الوطء بالحب بعدم استطاعة العدل بخلاف المبيت، وهذه المسألة خلاف بين العلماء، فمنهم من ألحق الوطء بالمبيت، والأرجح عندي ما أشار إليه ابن السعدي بشرط عدم الإضرار بالزوجة.

- **المحرمات من النساء**

أباح الإسلام للرجل أن يتزوج من أراد من النساء، إلا أنَّ الله حدد له عدداً لا يتجاوزه، وأصنافاً من النساء لا يجوز له الزواج بهن، إمَّا على التأبيد أو التأقيت، وسوف أوضح ذلك بالمثال التالي:

في تفسيره لقوله تعالى: "﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء 23/4)،

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص207.

هذه الآيات الكريمات مشتملات على المحرمات بالنسب:

...وهنَّ السبع اللاتي ذكرهنَّ الله:

الأم: كل مَنْ لها عليك ولادة، وإن بَعُدت.

البنت: كل مَنْ لك عليها ولادة.

الأخوات: الشقيقات، أو لأب أو لأم.

العمة: كل أختٍ لأبيك، أو لجدك، وإن علا.

الخالة: كل أختٍ لأمِك، أو جدتك، وإن علت، وارثة أم لا.

بنات الأخ: وإن نزلت.

بنات الأخت: وإن نزلت".[1]

- **الطلاق:**

كما أمر الله تعالى وندب إلى الزواج، وحثَّ عليه رسول الله ﷺ، وأمر بإجرائه على ما أمر الله ورسوله ﷺ، كذلك أباح لمن استحالة العشرة معها، أو تضرر أحد الزوجين بالآخر، بفسخ هذا العقد بالطلاق، وبإجرائه على ما أمر الله ورسوله ﷺ، فالطلاق له شروطه،

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص173.

وأحكامه، التي شرعها الله تعالى، وأمر بها رسول الله ﷺ، حتى يكون وقْعَه صحيحاً، وسوف أوضح ذلك بالمثال التالي:

في تفسيره لقوله تعالى: "﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة 228/2)، أي: النساء اللاتي طلقهنَّ أزواجهنَّ، ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾.

ينتظرن ويعتدن مدة، ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، أي: حيض أو أطهار، على اختلاف العلماء في المراد بذلك، مع أنَّ الصحيح أنَّ القُرْء الحيض، ولهذه العدة، عدة حُكم، منها: العلم ببراءة الرَحِم، أذا تكررت عليها ثلاثة الأقراء، عُلم أنَّه ليس في رحمها حمل، فلا يُفضي إلى أختلاط الأنساب.

أ-أوجب تعالى عليها الإخْبار عن ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾.

ب-حُرِّم عليهنَّ كتمان ذلك من حملٍ أو حيضٍ، لأنَّ كتمان ذلك يُفضي إلى مفاسد كبيرة...

ج-قبولُ خَبَرِ المرأة عمَّا تُخبر به عن نفسها، من الأمر الذي لا يطَّلع عليه غيرها، كالحَيض والحَمل ونحوه.

د- ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾، أي: لأزواجهنَّ ما دامت مُتربصة في تلك العدة، أن يردوهنَّ إلى نكاحهنَّ، ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾.

هـ-ومن حِكَمِ التربص أنَّه ربما زوجها نَدِمَ على فراقه لها، فجُعلت له هذه المدة، ليتروّى بها ويقطع نظره. هذا خاص بالطلاق الرجعي.

أما الطلاق البائن: فليس البعل بأحق برجعتها، بل إن تراضيا على التراجع فلا بد من عقدٍ جديدٍ مُجتمع الشروط".[1]

وقد ذكر ابن السعدي وفصَّل في هذه المسألة وذكر بعض الأحكام منها:

1- القرء، هل هو الحيض أم الطهر؟ وذكر خلاف العلماء ثم رجَّح بأنَّها تعني الحيض، وهذا ما يحرص عليه غالباً، ولأنَّ الغرض الأصيل من العدة هو استبراء الرحم، وهذا يتحقق بالحيض وليس بالطهر.

2- أوجب على المعتدة الإخبار عما في الأرحام من حيضٍ أو حملٍ، لأنَّ الأمرَ لا يتعلق بها فحسب، وذكّرها بأمر عظيم وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

فلا تتجرأ على محارم الله تعالى بكتمان الحمل (لإجهاضه أو تغييبه)، ولا تتجرأ بكتمان الحيض اِسْتِعْجَالاً بالطلاق.

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص101-102.

3- الرجل في الطلاق البائن أحق بالرجعة، "أنَّ الرجل إن أراد الرجع وأبتها المرأة وجب إيثارُ قوله على قولها، وكان هو أحق منها، لا أنَّ لها حقاً في الرجعة، ﴿إِنْ أَرَادُوا﴾، بالرجعة، ﴿إِصْلَاحًا﴾، لِما بينهم وبينهنَّ وإحساناً إليهنَّ ولم يريدوا مضارتهنَّ".[1]

- **الميراث:**

"كان العرب في الجاهلية من جبروتهم وقسوتهم، لا يوَرّثون الضعفاء، كالنِّساء والصبيان، ويجعلون الميراث للرجال الأقوياء... فأراد الربُّ الحكيم أن يشرّع لعباده شرعاً، يستوي فيه رجالهم ونساءهم، وأقوياءهم وضعفاءهم.

وقدَّم بين يدي ذلك أمراً مجملاً، لتتوطن له النفوس. فيأتي التفصيل بعد الإجمال، وقد تشوفت له النفوس، وزالت الوحشة التي منشؤها العادات القبيحة، فقال: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾، أي: قِسْط وحصة، ﴿مِّمَّا تَرَكَ﴾، أي: خَلَّفَ، ﴿الْوَالِدَانِ﴾، أي: الأب والأم، ﴿وَالْأَقْرَبُونَ﴾، عموم بعد خصوص، ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾.

فكأنَّه قيل:

-هل ذلك النصيب راجع إلى العُرف والعادة، وأن يرضخوا له مايشاؤون، أو شيئاً مقدراً.

-فقال تعالى: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ ...

-لعل أحداً يتوهم أنَّ النساء والوالدان ليس لهم نصيب إلا من المال الكثير؟

[1] محمود بن عمر الزمخشري، *الكشاف*، مكتبة مصطفى البابي وأولاده، القاهرة 1966، 1\366.

-فأزال ذلك بقوله: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾".[1]

ذكر ابن السعدي هذه التوطئة الجميلة؛ كمقدمة لأحكام الميراث والفروض، وعَرَضَ خلفية الأمر من ناحية تاريخية؛ لتصوره على حقيقته التي كان عليها.

وعرض ذلك على صيغة تساؤلات، أجوبتها آيات قرآنية تتعلق بالميراث، فكما هو معلوم أنَّ تقسيم الميراث تكفَّلَه الله جل جلاله بنفسه، ففصّلها وبيّنها بتفصيل عجيب، حتى لا تدخُلها الأهواء، والتقسيمات الخاطئة، وتميل بها، وسوف أوضح ذلك بمثال ميراث الأولاد:

في تفسيره لقوله تعالى: "﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (النساء 4/11-12).

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص165.

1- الأولاد للصلب، وأولاد الأبن (إذا اجتمع الذكور والإناث): ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾.

أ- للذكر مثل حظ الأنثيين، إن لم يكن معهم صاحب فرض.

ب-ماأبقت الفروض يقتسمونه كذلك.

2- الأولاد للصلب، وأولاد الأبن (إذا انفرد الإناث): ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾.

أ- بنات صلب أو بنات ابن، ثلاثاً فأكثر، ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾.

ب-بنتاً أو بنت أبن، ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾.

ج- بنتين:

- أنَّه يُستفاد من قوله: ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾، فمفهوم ذلك أنَّه إن زادت على الواحدة، انتقل الفرض إلى النصف، ولا ثَم بعد إلا الثُلثان.
- قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾، إذا خَلَّف ابناً وبنتاً، فإنَّ الابن له الثُلثان، وقد أخبر الله أنَّه مثل حظ الأنثيين، فدلَّ ذلك على أنَّ للبنتين الثلثين.
- البنت إذا أخذت الثلث مع أخيها –وهو أزيد ضرراً عليها من أختها- فأخذها له مع أختها من باب أولى.
- قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾، فإذا كان الأختان الثنتان –مع بُعدِهما-يأخُذان الثُلثين فالابنتان مع قُربهما من باب أولى.

- وقد أعطى النبي ﷺ ابنتي سعد الثُلثين كما في الصحيح.

د- أكثر من بنتين: ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾.

الفرض الذي هو الثُلثان، لا يزيد بزيادتهن على الثنتين، بل من الثنتين فصاعداً.

- إذا وجد بنت صلب واحدة، وبنت ابن أو بنات ابن، فإنَّ لبنت الصلب النصف، ويبقى من الثُلثين اللذين فرضهما الله للبنات أو بنات الابن السُدس".[1]

وذكر ابن السعدي في تفسيره لآيات المواريث، وهو ما اتفق عليه أهل السُنَّة والجماعة من سَلَفِ هذه الأمة، فهو لا يخالفهم فيها في شيء، وكما هو معلوم أنَّ آيات المواريث من المحْكمات، وهو سبحانه الذي تولى توزيع هذه الأنصبة ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾، فهي آيات مُحكمة لا سبيل إلى التنازع فيها، وهي آيات مفْروغ من الخلاف فيها، في بيان الأنصبة التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، وهذا شأن ابن السعدي بموافقة ما اتفق عليه السَلَف وما أجمعوا عليه. وهذا من مميزات تفسيره، ومما يعطي قبولاً كبيراً في تفسيره، في أنَّه لا يخالف في المسَلّمات، والآيات المحكمات، والقواطع من الدين الواضحات.

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص166.

(خاتمة الفصل)

ذكرت في هذا الفصل، منهج ابن السعدي في تفسير آيات التوحيد والفقه، وأن التوحيد في تفسير ابن السعدي قد أعطاه مساحة تفسيرية، واهتمام كبير، وتركيزه على توحيد الألوهية، وأهمية معرفة هذا التوحيد، والعمل به في حياة المسلم، وخطورة الجهل به، وتوحيد الربوبية، وأهمية هذا التوحيد، الذي لا يُغني معرفته لحاله، أو الإيمان به دون توحيد الألوهية، لأنَّ مشركي قريش كانوا يقرون به، وتوحيد الأسماء والصفات، وأهمية هذا التوحيد في حياة المسلم والآثار الإيجابية التي يزرعها في قلب المسلم وعمله.

وذكرت التفسير الفقهي عند ابن السعدي، وكيف تعامل مع الأحكام الفقهية، فكان مثال العالم المتفهم الملم والمتبع للدليل دون تعصب أو تشدد، فذكرت فقه العبادات من صلاة وزكاة وصوم، وفقه المعاملات بمثال الربا، وفقه الأحوال الشخصية عن معنى العدل في الزواج، والمحرمات بالنسب من النساء، والطلاق والميراث.

الفصل السابع

اللطائف التفسيرية من تفسير ابن السعدي.

إنَّ الباحث والمتتبع لتفسير ابن السعدي يجد أنَّ هذا التفسير الجليل قد حوى على الكثير من اللطائف الشرعية والسلوكية والأدبية والاجتماعية، ولا تكاد تقرأ صفحة واحدة إلا وتجد منها الكثير، فانتقيت بعضها، وأردت أن أجعلها بفصلٍ خاصٍّ في نهاية البحث، ترويحاً وفائدة، فاقتنصت منها عشر فوائد، تعطي انطباعاً، عن رجلٍ فهم القرآن، وفهم الواقع من حوله، فعمل به، ودعا له، وتحلى به.

- **من الحكمة الإلهية.**

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ (البقرة 2/101-102).

"ولما كان من العوائد القدرية والحِكْمَة الإلهية أنَّ من تَرَكَ ما ينفعه؛ وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع، ابتُلي بالاشتغال بما يضرُّه.

- فمن ترك عبادة الرحمن، ابتُلي بعبادة الأوثان.
- ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه، ابتُلي بمحبة غير الله وخوفه ورجاءه.
- ومن لم يُنفق ماله في طاعة الله، أنفقه في طاعة الشيطان.

- ومن ترك الذل لربه، ابتُلي بالذل للعبيد.
- ومن ترك الحق، ابتُلي بالباطل".[1]

- **القصاص بالحق.**

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة 194/2).

"ولكن هل لصاحب الحق أن يأخذ من ماله بقدر حقه، أم لا؟

(قال: الشيخ السعدي) خلاف بين العلماء، الراجح من ذلك:

1- أنَّه إن كان سبب الحق ظاهراً كالضيف إذا لم يقره غيره، والزوجة والقريب إذا امتنع من تجب عليه النفقة، فإنَّه يجوز أخذه من ماله.

2- وإن كان السبب خفياً كمن جَحَدَ دَيْنَ غيره، أو خانه في وديعة، أو سَرَق منه ونحو ذلك، فإنه لا يجوز له أن يأخذ من ماله مقابلة له...

ولما كانت النفوس في الغالب لا تقف على حدها إذا رخُّص لها في المعاقبة لطلبها التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده وعدم تجاوزها".[2]

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص60-61.
[2] المصدر السابق، ص89-90.

ذكر ابن السعدي في تفسيره لهذه الآية الكريمة مسألةً فقهية مهمةً يقع فيها الكثير من الخلق، فأجاب بشقين:

1- إذا كان تقصيراً بواجب، كالتقصير في حق من يجب رعايتهم والإنفاق عليهم، أُخذ بقَدْر الحاجة كما ورد في الحديث عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «دخلت هند بنت عُتْبَةَ- امرأَة أَبِي سفيان- على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالت: يا رسول الله، إنَّ أَبَا سُفْيَان رَجُلٌ شَحِيحٌ، لا يُعْطِينِي من النفقة ما يكفيني ويكفي بَنِيَّ، إلاَّ ما أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ، فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنْ جُنَاحٍ؟ فَقَالَ رسول الله: خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكِ وَيَكْفِي بَنِيكِ».[1]

2- وإن كان الأمر(خفياً) كالدُّيون، وحقوق العمال، والمعاملات بين الشركاء، وَمَطْلُ الحق، وغيرها فالجواب لا؟ وعلل ذلك وقد صدق: أنَّ النفوس في الغالب لا تقف عند حَدِّها، فيدخُل الشيطان، والانتقام، وتعويض الخسائر، وحرمان الأرباح وغيرها، بل وحتى يدخل بها الأعْمَار، والأوقات المهْدَرة، والمعاوضة عليها.

- **لا إكراه في الدين.**

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة 256/2).

"لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه، لأنَّ الإكراه لا يكون إلا على أمر خَفيَّة أعلامه، غامضة أثاره، أو أمرٍ في غاية الكراهة للنفوس، وأمَّا هذا الدين القويم والصراط

[1] مسلم ابن الحجاج النيسابوري، صحيح *مسلم*، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 1991، كتاب الأقضية، باب قضية هند بنت عتبة، رقم الحديث1714، 3\1336.

المستقيم فقد تبيَّنت أعلامه للعقول، وظهرت طُرُقه، وتبين أمره، وعُرِف الرشد من الغي، فالموفَّق إذا نظر أدنى نظر إليه آثره واختاره، وأمَّا من كان سيء القصد، فاسد الإرادة، خبيث النفس، يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويُبْصِرَ الحَسَن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمكره ليس إيمانه صحيحاً".[1]

وهنالك شُبْهة قد تقع في أذهان البعض، ومنها حديث النبيﷺ فيما رواه البخاري قال: حدَّثنا أبو اليمان، أخبرنا شُعيب، عن الزُهري: حدَّثنا سعيد بن المسيب: أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: «أُمْرِتُ أن أُقاتِلَ النّاس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فَمَن قال لا إله إلا الله فَقَدْ عَصَمَ منّي نَفسَهُ ومَالَهُ إلا بِحقه، وحِسابه على الله».[2]

والحديث الآخر الذي رواه البخاري قال: حدَّثنا أبو النُعمان مُحمدُ بن الفضل حدَّثنا حمادُ بن زيدٍ عن أيوبَ عن عِكرمةَ قال: «أُتِيَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عنْه، بزَنادِقَةٍ فأحْرَقَهُمْ، فَبَلَغَ ذلكَ ابْنَ عبَّاسٍ، فقالَ: لو كُنْتُ أنا لَمْ أُحْرِقْهُمْ، لِنَهْيِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لا تُعَذِّبُوا بعَذابِ اللَّهِ ولَقَتَلْتُهُمْ، لِقَوْلِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مَن بَدَّلَ دِينَهُ فاقْتُلُوهُ»،[3] فهل هنالك تعارض بين هذه الآية والحديث؟

---

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص111.

[2] محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، جمعية البشرى الخيرية، كراتشي 2016، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، رقم الحديث 2946، ص1389.

[3] محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري*، جمعية البشرى الخيرية، كراتشي 2016، كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمرتدة، رقم الحديث 6922، ص3042.

فنقول: أيُّ أمرٍ ظاهره التعارض بين النصوص علينا تطبيق الآتي:

1- فَهْم الصحابة رضي الله عنهم للكتاب والسُنَّة.

2- الإحاطة بمجموع الأدلة.

فنقول: إنه لا يُجْبَر المرء إبتداءً على أن يترك دينه، والدخول في دين الإسلام، فله الحرية المطلقة في ذلك، ولكن إذا دخل هذا الدين فلا يخرج منه، حتى لا يصير هذا الدين ألعوبة بيد سفهاء الناس ومنافقيهم، ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران 72/3).

- **ماهية نجاسة المشرك؟**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة 28/9).

"وليس المراد هنا نجاسة البدن، فإن الكافر كغيره طاهرُ البدن، بدليل أنَّ الله تعالى أباح وطء الكتابية ومباشرتها، ولم يأمر بغسل ما أصاب منها، والمسلمون ما زالوا يباشرون أبدان الكفار، ولم يُنقل عنهم أنَّهم تقذّروا منها، تَقَذُّرَهم من النجاسات، وإنَّما المراد كما تقدم نجاستهم المعنوية، بالشرك، فكما أنَّ التوحيد والإيمان طهارة، فالشرك نجاسة".[1]

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص333.

- **أعظم معجزة للأنبياء.**

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة 28/9).

"إن كان قصدهم بالبينة، البينة التي يقترحونها، فهذه غير لازمة للحق، بل اللازم أن يأتي النبي بآية تدلُّ على صحة ما جاء به، وإن كان قصدهم أنَّه لم يأتهم ببينة تشهد لما قاله بالصحة، فقد كَذَبوا في ذلك، فإنَّه ما جاء نبي لقومه إلا وبعث الله على يديه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، ولو لم يكن له آية، إلا دعوته إيّاهم لإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، والأمر بكل عملٍ صالحٍ، وخُلقٍ جميل، والنهي عن كل خُلقٍ ذميم من الشرك بالله، والفواحش والظلم، وأنواع المنكرات، مع ما هو مُشتمل عليه هود عليه السلام من الصفات التي لاتكون إلا في خيار الخلق وأصدقهم، لكفى بها آيات وأدلة على صدقه، بل أهل العقول وأولو الألباب، يرون أنَّ هذه الآية أكبر من مجرد الخوارق التي يراها بعض الناس".[1]

وأقول: إن ما اتصف به الأنبياء من حُسْنِ الخِلقة والخُلق، من أعظم الآيات الدالة على صدقهم عليهم السلام كما ورد في الحديث الصحيح: «لما قدمَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليه وسلم المدينةَ انجفلَ النَّاسُ إليْهِ وقيلَ قدمَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليه وسلم، قدمَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليه وسلم، قدمَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليه وسلم فجئتُ في النَّاسِ لأنظرَ إليْهِ فلمَّا استثبتُ وجْهَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليه وسلم عرفتُ أنَّ وجْهَهُ ليسَ بوجْهِ كذَّابٍ وَكانَ أوَّلَ شيء تَكلَّمَ

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص383.

بِـــهِ أن قـــالَ: أيُّهـــا النَّـــاسُ أفشـــوا السَّـــلامَ وأطعِمـــوا الطَّعـــامَ وصـــلُّوا والنَّـــاسُ نيـــامٌ تـــدخلوا الجَنَّـــةَ بسلامٍ».[1]

- **الخالق.**

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل 8/16).

"مما يكون بعد نزول القرآن من الأشياء، التي يَرْكَبُها الخَلْق في البر والبحر والجو، ويستعملونها في منافعهم ومصالحهم، فإنَّه لم يذكرها بأعيانها، لأنَّ الله تعالى لا يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد، أو يعرفون نظيره، وأمَّا ماليس له نظير، فإنَّه لو ذكر لم يعرفوه، ولم يفهموا المراد منه، فيذكر أصلاً جامعاً يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون.

كما ذكر نعيم الجنة، وسمى منه ما نعلم ونشاهد نظيره، كالنخل والأعناب والرُّمَّان، وأجْمَل ما لا نعرف له نظيراً في قوله: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ (الرحمن 52/55)، فكذلك هنا، ذكر ما نعرفه من المراكب، كالخيل والبغال، والحمير، والإبل، والسفن، وأجْمَل الباقي في قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾".[2]

لقد كان ابن السعدي سابقاً لعصره بمراحل، من فَهْم، وإدراك، ودراية، فتفسيره لهذه الآية الكريمة دالّ على ذلك، مع الأخذ بالاعتبار المكان والزمان الذي عاش وترعرع فيه، الذي كان ينظر لبعض المخترعات، نظرة ريبة، وشك.

وانظر كيف ربط قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، مع قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾.

---

[1] محمد ناصر الدين الألباني، صحيح *سنن الترمذي*، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض 2000، كتاب صفة القيامة، باب42 رقم الحديث2485، 600\2.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص336.

- **إهداء القُرب.**

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم 39/53).

"من يرى أنَّ القُرَب لا يفيد إهداؤها للأحياء ولا للأموات قالوا لأنَّ الله قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾، فوصول سعي غيره إليه مناف لذلك، وفي هذا الاستدلال نظر، فإنَّ الآية إنَّما تدل على أنَّه ليس للإنسان إلا ما سعى بنفسه، وهذا حق لا خلا ف فيه، وليس فيها ما يدل على أنَّه لا ينتفع بسعي غيره، إذا أهداه ذلك الغير له، كما أنَّه ليس للإنسان من المال إلا ما هو في ملكه وتحت يده، ولا يلزم من ذلك، ألا يملك ما وهبه له الغير من ماله الذي يملكه".[1]

قلت: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾، خاص بالسيئة؛ بدليل ما في (صحيح مسلم) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ ولَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ. فَإِنْ عَملَهَا كَتَبْتُهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[2].

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص822.

[2] مسلم ابن الحجاج النيسابوري، *صحيح مسلم*، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 1991، كتاب الايمان، باب إذا هم العبد بحسنة، رقم الحديث128، 1\117.

- **قاعدة أدبية.**

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء 83/4).

"وهي أنَّه إذا حصل بحث في أمر من الأمور، ينبغي أن يولَى مَنْ هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنَّه أقرب إلى الصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ، وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيقدم الإنسان، أم لا؟ فيحجم عنه"؟[1]

وأن تقديم أهل الاختصاص كلٌّ في تخصصه، فيُقدم أهل الطب في الأمور الطبية، وأهل الفلك في الأمور الفلكية، وهكذا، وعدم مزاحمتهم في اختصاصهم والتقدم بين أيديهم في شأن متعلق باختصاصهم، وهذا كان فعل النبي ﷺ عندما أسند لكل صاحب مهارة واختصاص وموهبة، ما برز به وتميز عن غيره. وعدم العجلة في الأمور، حين سماعها، وعدم نشرها، (وإن كان حقاً) قبل التأكد من المصلحة في ذلك، لحديث النبي ﷺ الذي أورده مسلمٌ في صحيحه «كَفَى بالمرْءِ كَذِبًا أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِع»[2]

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص190.

[2] مسلم ابن الحجاج النيسابوري، *صحيح مسلم*، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 1991، باب النهي عن الحديث بكل ماسمع، رقم الحديث 5، 10\1.

- **رد التحية.**

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (النساء 86/4).

"وأعلى أنواع التحية ما ورد به الشرع، من السلام ابتداء ورداً... ويستثنى من عموم الآية الكريمة مَنْ حيا بحالٍ غير مأمور بها، (على مشتغل بقراءة، أو استماع خطبة، أو مصلٍ ونحو ذلك) فإنَّه لا يطلب إجابة تحية، وكذلك يستثنى من ذلك من أمر الشارع بهجره، وعدم تحيته، وهو العاصي غير التائب الذي يرتدع بالهجر...ويدخل في رد التحية كل تحية اعتادها الناس، وهي غير محظورة شرعاً، فإنَّه مأمور بردها أو أحسن منها".[1]

- **الزهد الحقيقي.**

﴿ما عِندَكُم يَنفَدُ وَما عِندَ اللَّهِ باقٍ وَلَنَجزِيَنَّ الَّذينَ صَبَروا أَجرَهُم بِأَحسَنِ ما كانوا يَعمَلونَ﴾ (النحل 96/16).

"وفي هذا الحث والترغيب على الزهد في الدنيا، خصوصاً الزهد المتعين، وهو الزهد فيما يكون ضرراً على العبد، ويوجب له الاشتغال عما أوجب الله عليه، وتقديمه على حق الله، فإنَّ هذا الزهد واجب، ومن الدواعي للزهد أن يقابل العبد لذات الدنيا وشهواتها بخيرات الآخرة، فإنه يجد الفرق والتفاوت ما يدعوه إلى إيثار أعلى الأمرين، وليس الزهد الممدوح هو الانقطاع

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص191.

للعبادات القاصرة كالصلاة والصيام والذكر، ونحوها، بل لا يكون العبد زاهداً زهداً صحيحاً حتى يقوم بما يقدر عليه من الأوامر الشرعية الظاهرة والباطنة، ومن الدعوة إلى الله وإلى دينه بالقول والفعل، فالزهد الحقيقي هو الزهد فيما لا ينفع في الدين والدنيا".[1]

وقد اختلف أهل العلم في معنى الزهد، فقال بعضهم: ترك ما لا ينفع في الآخرة، وعرَّفه الحسن البصري رحمه الله: الزهد أن تكون الدنيا في يدك، لا في قلبك، وأفضل من عرَّفه صاحب هذا التفسير (لله دره).

[1] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص449.

(خاتمة الفصل)

ذكرت في هذا الفصل مجموعة من اللطائف التفسيرية، لتفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تنوعت بين الأدب، والوعظ، والفقه، والنصح، والتربية، وغيرها. فإنَّ من الحكمة الإلهية، أن من ترك عبادة الرحمن ابتلي بعبادة الشيطان، وأنَّ من ترك إنفاق الواجبات، ابتلي بالإنفاق على المحرمات. ومن لطائف المسائل الفقهية، هل لصاحب المظلمة أن يأخذ ممن ظلمه بقدر ما أخذ منه؟ إن كان الأمر يتعلق بواجب من الواجبات التي عليه، فنعم؟ وإن كان غير ذلك فلا؟

ومنها عدم إكراه الناس في الدين، لعدم الحاجة لذلك، فدين صافٍ كصفاء الماء الزلال، لا يحتاج لذلك، والدين لا يحتاج من يدخله مكرهاً؟ وحقيقة نجاسة المشرك، وهل هي نجاسة البدن أم نجاسة المعتقد؟ فوضَّحَ ذلك بكلام جميل. وأنَّ أعظم معجزات الأنبياء هو ذلك الخلق الرفيع الذي يتحلون به، وذلك الشرع الحنيف الذي جاءوا به، وأنَّ هذه هي المعجزة الخالدة التي يشاهدها من سبق ومن لحق. وبين معنى الخالق في قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (النحل 8/16)، وأنه سبحانه لا يذكر إلا ما يعرفه العباد، أو نظيره، فيذكر أصلاً جامعاً، يدخل فيه ما يعلمون أو لا يعلمون. وهل يجوز إهداء القرب للأموات؟ وبين جوازها بأدلة من الكتاب والسُّنَّة. وإنَّ على الأمة تقديم أهل الاختصاص، كلاً في مجاله، على من غيرهم، وعدم استعجال الأمور ودراستها، قبل إبداء الرأي فيها. وأنَّ أفضل التحية هي ما شرعه الله تعالى، وأنَّ التحية التي اعتادها الناس فيما بينهم جائزة، بشرط ألا يكون فيها محظور شرعي. وختاماً عرَّف الزهد الحقيقي، وهو الزهد فيما لا ينفع لا في دنيا ولا في دين.

الخاتمة

في نهاية بحثي، وبعد هذه الدراسة المفصلة للمدرسة النجدية في التفسير، بذكر منهجها، وأبرز أعلامها، وسماتها، والمراحل التي مرت بها عبر ثلاثة قرون، وأن هذه المراحل ليست على نسقٍ واحدٍ في الفهم والنضوج والاعتدال، وذكر أبرز معوقاتها التي صاحبت بداية نشأتها، وأبرز ما قيل فيها. وأنَّ هذه المدرسة هي امتداد لمن سبق من مدارس التفسير في العالم الإسلامي الكبير، وأنَّ طريقة، ومنهج، وقواعد، هذه المدرسة التفسيرية، هو ما عليه أهل السُنَّة والجماعة، وما عليه أئمة أهل التفسير المعتبرون. حيث كان موضوع المدرسة النجدية محور اهتمامي منذ بداية الدراسة التحضيرية للرسالة، ولم يكن الأمر باليسير في استشفاف وتصنيف السلبيات وأسبابها، وإبراز الإيجابيات والحث عليها ودعمها.

ثم ذكرت ابن السعدي كنموذجٍ فريدٍ للمدرسة النجدية في التفسير، وأبرز سمات تفسيره، ومنهجه الذي سار عليه، الذي هو منهج أئمة التفسير السابقين، لكنَّه أضاف أسلوبه، وأسلوب مدرسته، فذكرت جانباً مشرقاً مما تحلى به ابن السعدي، في أسرته، وفي مسجده وبين جيرانه.

وذكرت أثر هذه النشأة الصالحة عليه، وأنه منذ نعومة أظفاره سلك ذلك الطريق، طريق العلم والتدبر والمعرفة، فأثمر عالماً نحريراً يشار له بالبنان، متحرراً بالدليل، متمسكاً بالفهم لمعاني هذا الدين، درس على يد كوكبة من العلماء، ودرَّس وخَرجَ على يده كوكبة فذة من العلماء، فكان المثال والقدوة بالأخلاق والعمل.

فكان أبرز ثماره، تفسير كتاب الله الكريم، الذي صب فيه، حصيلة علمه وفهمه، فنتج عن ذلك تفسير قلّ نظيره، جمع بين العمق والبساطة، وسهولة العبارة، مما جعل لهذا التفسير القبول الكبير بين عوامّ الناس وعلمائها.

فقد كان هذا الموضوع جديراً بالدراسة والبحث على الرغم من دراسته من قبل كثيرين قبلي إلا أنه ومع احترامنا وتقديرنا للجميع فإن الموضوع لم يبحث بتجرد، إما إفراطاً في الحب والمتابعة، وإما تفريطاً في البغض والعداوة.

وأرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث، مع اعتذاري في حالة وجود أخطاء، وأتمنى من الله أن ييسر لمن يأتي من بعدي في تناول جوانب أخرى من هذه المدرسة التفسيرية، وشخصيات هذه المدرسة جديرة بالدراسة والبحث، والموضوع ثري بالنماذج التي تستحق ذلك.

.

النتائج والتوصيات:

1-قيمة المدرسة النجدية في التفسير مقارنةً بالمدارس التفسيرية الأخرى، وأنها امتداد لمن سبقها من المدارس التفسيرية المعتبرة.

2-أثر الاستقرار السياسي والاقتصادي على نوعية وكمية النتاج العلمي والثقافي في المجتمع، وقد تبين كيف أثَّرَ ذلك الاستقرار في المدرسة النجدية في التفسير كمَّاً ونوعاً.

3-عدم الحكم المسبق على الأفراد والمجتمعات والأفكار، سلباً أو إيجاباً، قبل الدراسة والبحث والتدقيق.

4-أثر العالم الرباني على البلاد والعباد، وثمراته التي تمتد لعقود بل لقرون، وقد وضح ذلك في أعلام المدرسة النجدية في التفسير، وأثر أولئك العلماء الأفذاذ.

5-الباحث عن الكمال العلمي، أو الكمال البشري، أو الكمال المجتمعي، كالباحث عن حبة في وسط رمال الصحراء.

6-قد قيل في زمن مضى (غُلق باب الاجتهاد) وقد قيل في وقتنا الحاضر (لم يعد هنالك ما يُبحث في التفسير)، ولكن للمتتبع والمتفحص يرى أن الذي بُحث أقل بكثير من الذي لم يُبحث، فعلى طلاب العلم (وأرجو أن أكون منهم) تشمير السواعد وشحذ الهمم للبحث في التفسير ورجاله وعلومه.

7-خطورة طرح أفكار وتهم عامة (كالغلو والتشدد وعدم فهم الواقع...) تتفرع منها أفكار خاطئة، أو يمكن أن تفهم بشكل خاطىء، دون ضبط شواردها وتقييد فروعها.

والأولى أن يدرس زمان ومكان حدوثها، وزمان ومكان طرحها، وطبيعة المتلقي.

8- المدرسة النجدية في التفسير، وبالأخص ما قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما بعدها، هنالك فجوة وفراغ لم يبحث بالشكل المطلوب، فالمجال مفتوح للباحثين لتغطية وبحث تلك الحقبة.

المصادر والمراجع:

1) القرآن الكريم.

2) ابن القيم محمد بن أبي بكر، *بدائع الفوائد*، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة 1425.

3) ابن القيم محمد بن أبي بكر، *زاد المعاد في هدى خير العباد*، مؤسسة الرسالة، بيروت 1994.

4) ابن القيم محمد بن أبي بكر، *مفتاح دار السعادة*، دار ابن عفان، السعودية 1996.

5) ابن باز عبد العزيز، *مجموع تفسير آيات من القرآن الكريم*، دار القبس للنشر والتوزيع، الرياض 2014.

6) ابن بشر عثمان، *عنوان المجد في تاريخ نجد*، دارة الملك عبد العزيز، الرياض 1982.

7) ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، *العقيدة التدمرية*، مكتبة السنة المحمدية.

8) ابن خميس عبد الله، *معجم اليمامة*، مطبعة الفرزدق، الرياض 1978.

9) ابن عقيل عبد الله بن عبد العزيز، *قصتي في طلب العلم*.

10) ابن غنام حسين بن أبي بكر، *تاريخ ابن غنام*، دار الثلوثية للنشر والتوزيع، الرياض 2010.

11) ابن كثير إسماعيل بن عمر، *تفسير القرآن العظيم*، دار ابن حزم، بيروت 2000.

12) الألباني محمد ناصر الدين، *صحيح الجامع الصغير وزيادته*، المكتب الإسلامي، بيروت 1988.

13) الألباني محمود ناصر الدين، *صحيح سنن الترمذي*، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض 2000.

14) البخاري محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري*، جمعية البشرى الخيرية، كراتشي 2016.

15) البسام عبد الله، *علماء نجد خلال ثمانية قرون*، دار العاصمة، الرياض 1419.

16) البشر بدرية، *نجد قبل النفط*، جداول للنشر والترجمة، بيروت 2013.

17) الترمذي محمد بن عيسى، *الجامع الكبير*، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996.

18) التميمي محمد بن عبد الوهاب، *تفسير آيات من القرآن الكريم*، المركز الإسلامي للطباعة والنشر، القاهرة.

19) الجصاص أبي بكر أحمد بن علي، *أحكام القرآن*، دار احياء التراث، بيروت 1992.

20) الحديثي عبدالصمد، *الدعوة النجدية وتهمة البداوة والتشدد والفقه البدوي*، مركز سلف للبحوث والدراسات.

21) الحسين وليد بن أحمد، *الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين*، إصدارات الحكمة، بريطانيا 2002.

22) الحمد محمد إبراهيم، *تراجم تسعة من الأعلام*، ابن خزيمة، الرياض 2007.

23) الدخيل سليمان بن صالح، *القول السديد في أخبار امارة آل رشيد*، دار اليمامة، الرياض 1986.

24) الدوسري عبد الرحمن، *صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم*، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض 2005.

25) دياب محمد، *الرياض مدينة المستقبل*، المصدر لإنماء المدينة، الرياض 2001.

26) الذهبي محمد حسين، *التفسير والمفسرون*، دار الحديث، القاهرة 2012.

27) رضا أحمد، معجم متن اللغة، *دار مكتبة الحياة*، بيروت 1960.

28) رضا محمد رشيد، *تفسير القرآن الحكيم (المنار)*، دار المنار، القاهرة 1947.

29) الزركلي خير الدين، *الأعلام*، دار العلم للملايين، بيروت 1986.

30) الزمخشري محمود بن عمر، *الكشاف*، مكتبة مصطفى البابي وأولاده، القاهرة 1966.

31) السرحاني سلطان طريخم، *جامع أنساب قبائل العرب*، دار الثقافة، الدوحة 1985.

32) السرطاوي محمود، *فقه الأحوال الشخصية*، جامعة القدس المفتوحة، عمان 2012.

33) السعدي عبد الرحمن بن ناصر، *القواعد الحسان في تفسير القرآن*، مكتبة الرشد، الرياض 1999.

34) السعدي عبد الرحمن ناصر، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، مركز الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000.

35) السعدي محمد، السعدي مساعد، *مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي*، دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض 2007.

36) الطبري محمد بن جرير، *جامع البيان في تأويل القرآن*، مؤسسة الرسالة، بيروت 1994.

37) الطيار سليمان بن ناصر، *سيرة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن محمد الدوسري*، دار ابن الاثير، الرياض 2014.

38) الطيار عبد الله سابح، *ابن السعدي مفسراً*، دار ابن الجوزي، الرياض 1421.

39) الطيار عبد الله محمد، *صفحات من حياة علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي*، دار ابن الجوزي، الرياض 1413.

40) الطيار مساعد، تفسير جزء عمّ، دار ابن الجوزي، الرياض 1430.

41) الطيار مساعد، *مقالات في علوم القرآن واصول التفسير*، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض 2010.

42) العثيمين عبد الله صالح، *تاريخ المملكة العربية السعودية*، مكتبة العبيكان، الرياض 2005.

43) العثيمين محمد بن صالح، *تفسير القرآن الكريم*، دار ابن الجوزي، الرياض 1435.

44) العثيمين محمد بن صالح، *شرح أصول الإيمان*، دار الوطن للنشر، الرياض 1410.

45) العريني عبد الرحمن، *الحياة الاجتماعية عند حضر نجد*، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، دكتوراه، الرياض 1989، 558.

46) عفيفي عبد الرزاق، *الحكمة من ارسال الرسل*، دار الصميعي، الرياض 1420.

47) القرطبي محمد بن أحمد، *الجامع لأحكام القرآن*، مؤسسة الرسالة، بيروت 2006.

48) القطان مناع، *مباحث في علوم القرآن*، مكتبة وهبة، القاهرة 2000.

49) المطيري عبد الرحمن بن محمود، *فقه المعاملات المالية الميسر*، جامعة الكويت، الكويت 2016.

50) مجمع اللغة العربية، *المعجم الوجيز*، مجمع اللغة العربية، القاهرة 1989.

51) مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، دار الكتب العلمية، بيروت 1991.

52) هاروش أيمن بن محمد، *فتنة جهيمان دراسة تحليلية*، د.ت.

تمَّ بِحَمدِ الله

KİŞİSEL BİLGİLER

ORCİD	
Adı Soyadı	**محمد فوزي هاتف العبيدي**
Doğum Yeri	
Doğum Tarihi	

LİSANS EĞİTİM BİLGİLERİ

Üniversite	**الجامعة الإسلامية - بغداد**
Fakülte	**كلية الدعوة والعقيدة والفكر الإسلامي**
Bölüm	**قسم العقيدة**

YÜKSEK LİSANS EĞİTİMİ

Üniversite	**تشانكري كارا تكين**
Enstitü	**معهد العلوم الاجتماعية**
Anabilim Dalı	**العلوم الإسلامية الأساسية**